

الإصابة في الاحتجاج بفهم الصحابة

الدليل الأقوم على أن
فهم السلف هو الأحكم والأعلم

خالد بن سالم الحاجي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإصابة

في الاحتجاج بفهم الصحابة

الطبعـــة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

الإصابة

في الاحتجاج بفهم الصحابة

تأليف

أبو عمر

حاي بن سالم الحاي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



المقدمة

إن الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فإن من حكمة اللّه البالغة ورحمته الواسعة أن قيض جل وعلا وهيأ من لدن عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى قيام الساعة فرقة ناجية وطائفة منصورة عضّت بالنواجذ على هدي الرسول ﷺ وعلى منهج الصحابة رضي الله عنهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام الورى.

قال الخطيب البغدادي رحمه اللّه تعالى[(١)]:

فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقْتفائهم آثار الصحابة والتابعين فشأنهم

(١) شرف أصحاب الحديث (ص١٠).

حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار وركوب البراري والبحار واقتباس ما شرع الرسول المصطفى لا يُعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا وحرسوا سنته حفظاً حتى ثبَّتوا أصْلها وكانوا أحق بها وأهلها» اهـ.

وهذه الطائفة المنصورة لا تزال موجودة بحمد اللَّه تعالى فلا تبرح قائمة تنصح وتُرشد وتبين.

للناس وجوب الرجوع **إلى فهم أصحاب النبي ﷺ** لما لهم من المناقب الجمة والفضائل الكثيرة ويكفيهم شرفاً وذكراً ومنزلة أنهم شاهدوا النبي ﷺ وشاهدوا التنزيل فلا شك أنهم فهموا مراد اللَّه تعالى ومراد رسوله ﷺ.

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى[١]:

أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة والفهم عن اللَّه ورسوله نفس المراد وعلم حدود المنزل وأخس همم طلاب العلم قصر همته على تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع. . .».

قلت:

ولا شك بأن أصحاب النبي ﷺ حباهم اللَّه عز وجل من **الفهم السليم** والإدراك الصحيح والحصافة الفذة وحُسن الملكة وأُوتوا جوامع الكلم ونوابغ الحكم.

وما أجمل قول معمر بن راشد رحمه اللَّه تعالى[٢]:

أصحاب النبي ﷺ أصابتهم نفحة من النبوة.

قلت:

---

(١) الفوائد (ص٦١).

(٢) رواه الخلال في السنة (٢/ ٤٨٠) بإسناد صحيح.

هذه النفحة من النبي ﷺ هي نفحة الفهم الصحيح لنصوص الوحيين الكريمين لأنها نفحة بركة وخير والنفحة من الريح هي الدفعة.

نَفَحَ الطِّيبُ: فاح نفحاً ونفوحاً[(١)].

فمن أراد وكَلِفَ أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً فليفهمه على نحو ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ فإنهم هم أصحاب الفهم الصحيح للإسلام ولذلك انحصر فهم الإسلام الحق بفهم أصحاب النبي ﷺ ومهما تدعي الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة والطوائف الزائغة أنها فهمت الإسلام فإننا لا نشك بأنه فهم زائغ ضال وهذا المدعي قد لجَّ في غوايته وأوغل في عمايته وأمعن في تيهه وغلا في جهالته.

ولا ريب بأن فهم السلف للكتاب والسنة أصل من أصول الإسلام يجب علينا أنْ لا نحيد عنه ولا نرضى بأي فهم آخر لأي فرقة وطائفة لا عن طريق العقل أو الذوق أو الكشف أو الرأي المذموم أو أهل الأهواء ولا أدل على سلامة وقوة وعصمة فهم الصحابة لنصوص الوحيين أن المخالفين لهم وقعوا في الانحراف العقائدي والزيغ المنهجي وتاهوا في شعاب الباطل وهاموا في أودية الضلال.

ثم لابد من البيان والإيضاح بأن الصحابة ﷺ خصهم ربنا عز وجل بمدح سائر وثناء عاطر وكذلك رسول اللّه ﷺ مدحهم مدحاً فياضاً وثناءًا ماتعاً وعلى سبيل المثال لا الحصر والإكثار.

مدح النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه بالفهم ورجاحة العقل وما ينبغي أن يختلف عليه بل يجب الانقياد والطاعة لأنه أمير المؤمنين!

(١) القاموس المحيط (٣١٣).

عن ابن أبي مليكة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«لما ثقل رسول اللَّه ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: ائتني بكتف أولوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يُختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن قال ﷺ:

أبى اللَّه والمؤمنون أنْ يُخْتَلَفَ عليك يا أبا بكر[١].

وفي رواية عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت[٢]: قال لي رسول اللَّه ﷺ:

ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أنْ يتمنَّى مُتمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول اللَّه ﷺ[٣]:

لقد هممتُ أو أردت أن أُرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهده أن يقول القائلون أو يتمنَّى المتمنون ثم قلت: يأبى اللَّه ويدفع المؤمنون أو يدفع اللَّه ويأبى المؤمنون.

قول النبي ﷺ لعمر: إن اللَّه جعل الحق على لسان عمر وقلبه[٤].

---

(١) صحيح لطرقه:
أخرجه أحمد (٦ : ٤٧، ١٠٦) والحسن بن عرفة في جزئه (٢/ ٢).

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ١١٠) وأحمد (٦/ ١٤٤) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٨٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٤٦ - ٤٧) وابن أبي عاصم في السنة (١١٩٧) (جوابرة).

(٤) إسناده جيد: أخرجه الترمذي (١٢ : ٣٦) كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب وأحمد في المسند (٢/ ٥٣، ٩٥) وفي فضائل الصحابة له أيضاً (رقم ٣١٣ و٣٩٥) (١/ ٢٥٠ و٢٩٩) وابن حبان (موارد ٢١٨٥) (٥٣٩) والفسوي في المعرفة التاريخ (١/ ٤٦٧) وعبد بن حميد في المنتخب (٧٥٨) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٣٥) وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (رقم ٧٧) ص ٦٢ والطبراني في الأوسط (رقم ٢٩١) (٢/ ٢٠٢) وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ١٠٩ - ١١٠) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٢٧).

ومدح ﷺ عثمان بن عفان وأنه رضي الله عنه على الهدى والحق.

عن عبد اللَّه بن حوالة رضي الله عنه قال:

أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو بجب دومة وهو يكتب الناس فرفع رأسه إلي فقال: يا عبد اللَّه بن حوالة أكتبك؟» فقلت: ما خار اللَّه لي ورسوله قال: فجعل يُملي فَرَفَعَ رأسه إلي فقال: أكتبك، فقلت: ما خار اللَّه لي ورسوله فقال: فرأيت في الكتاب أبا بكر وعمر فقلت: إنهما لا يُكتبان إلا في خير فقلت: نعم فكتبني قال[1]:

يا عبد اللَّه بن حوالة! كيف تصنع في فتنة في أقطار الأرض كأنها صياصي البَقَر والتي بعدها كنفخة أرنب؟ فقال: ما خار الله لي ورسوله، فقال لي: «اتبعْ هذا فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق» فلحقت بالرجل فأخذت بمنْكبيه فَلَفَتُهُ فقلت: يا رسول اللَّه هذا؟ قال: نعم فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه:

قلت:

وهذا الحديث له طرق كثيرة وألفاظ متعددة تدل على أن عثمان رضي الله عنه على الهدى والصراط المستقيم.

وكذلك ثبتت أحاديث كثيرة وكثيرة جداً في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) إسناده صحيح:
أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٣٢٩) (٢/ ٨٦٥) وأحمد في المسند (٤/ ١٠٩) وفي فضال الصحابة له (رقم ٧٩) (١/ ٤٤٨) وأبو حفص عمر بن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (ص١٦٤) (رقم ١١٨) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٧٥٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٤٠).

منها قول النبي ﷺ[1] في حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللّه يقول لعلي رضي الله عنه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلى أنه لا نبي بعدي.

وهناك فضائل ومناقب للصحابة كثيرة لم أُرد ذكرها حتى لا تطول بنا المقدمة وذكرت بعضاً منها على الجملة في رسالتي «البذل والنصرة في الذب عن الصحابي الجليل أبي بكرة رضي الله عنه» و«المؤمل في وجوب الرجوع إلى الأمر الأول».

ولقد وفقني اللّه عز وجل في ذكر فضائل ومناقب ومواقف للصحابة رضي الله عنهم وأودعتُها في كتاب «نيل الإنابة بالاقتداء بالصحابة» وإن شاء اللّه سوف يصدر قريباً.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم إنما هو بيان وإيضاح لأمر عظيم وهو وجوب الرجوع إلى فهم أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم للإسلام الحق.

وأن من استغنى عن فهم السلف لكلام اللّه جل وعلا وحديث النبي ﷺ فقد ضل ضلالًا بعيداً ووقع في الابتداع بالدين وقال على اللّه جل وعلا وعلى رسوله ﷺ ما لم يقل اللّه سبحانه وما لم يقل رسوله ﷺ وَمَنْ أراد السلامة لدينه والسعادة لنفسه أن يلزم هذا المنهج العظيم والمهيع القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه رسوله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان

---

(١) إسناده صحيح:
أخرجه النسائي في خصائص علي بن أبي طالب (رقم ٦٣) وأحمد في المسند (٦/ ٤٣٨) وفي فضائل الصحابة له (رقم ١٠٢٠) والقطيعي في زوائد الفضائل (رقم ١٠٩١) (٢/ ٦٤٢) والآجري في الشريعة (رقم ١٥٦٧) والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٤٠٦).

إلى هذا اليوم وإلى يوم الدين.

وقد بَيّنتُ ونقلت أقوالًا غاية في الروعة والجزالة محكمة النسج قوية الحَبْك محكمة السبك مشرقة المعاني آخذةٌ بعضُها بأعناق بعض للأئمة الإسلام وعلماء المنهج الرباني منهج السلف الصالح الذي لا يشك منصف أن كلام السلف يملك القلوب ويسترق الأفهام تتجلى الفصاحة والإقناع في كل لفظة من منطوقه وتكاد تدركه الأفهام قبل الأسماع مَنْ وَقَفَ عليه وفهمه عظَّم الاحتجاج لفهم السلف.

وما أجمل وأحكم قول الإمام الشافعي[1] رحمه اللَّه تعالى:

«أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه وأُحكمت مبانيه وابتهجت له قلوب سامعيه».

والله أسأل جل وعلا أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين والمسلمات في أصقاع وبقاع العالم الإسلامي وذلك بأن يعظموا فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم حتى يكتب الله لهم العزة والنصر والتمكين في الأرض واللَّه أعلم .

وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه

وكتب أبو عمر الحاي

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (رقم ٧٢٠) ٢/ ٧٢).

الدليل الأقوم على أن فهم السلف هو الأعلم والأحكم

فضل أصحاب النبي ﷺ

للصحابة ﷺ فضائل عظيمة ومناقب جمة مدحهم ربنا عز وجل وأثنى عليهم ثناء عاطراً إلى يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي: حدثني أبي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ كان بالحديبية فقال: لا توقدوا ناراً بليل، فلما كان بعد ذلك قال: أوقدوا واصْطنعوا، أما إنه لا يُدرك قومٌ بعدكم صاعكم ولا مدكم(١).

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه(٢):

من كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمُة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدْياً وأحسنها حالًا. قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه ﷺ فأعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم.

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/٣٦، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي قال شيخنا رحمه الله تعالى: وهو كما قالا أبو يحيى الأسلمي اسمه سمعان وهو ثقة كأبيه انظر الصحيحة (١٥٤٧) (٤/ ٦٣).

(٢) أثر جيد: أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (١٨١٠) (٢/ ٩٤٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥ - ٣٠٦).

وهاك كلاماً ماتعاً جامعاً فياضاً لشيخ الإسلام وهو يشرح قول ابن مسعود رضي الله عنه [١]:

كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً: كلامٌ جامعٌ بين فيه حُسْنَ قصدهم ونياتهم بِبِرِّ القلوب وبيَّن فيه كمال المعرفةِ ودَقَّتها بعمق العلم وبين فيه تيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكُّلف. اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى (إعلام الموقعين):

«ومن المحال أَنْ يَحْرم اللهُ أبَرَّ هذه الأُمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها، تكلُّفاً وأقومها هدْياً: الصواب في أحكامه، ويُوِّفق له من بعدهم.

وقال خليفة الهدى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى [٢].

سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً: الأخذ بها تصديقاً بكتاب الله عز وجل واستكمالًا لطاعة الله تعالى وقوة على دين الله سبحانه من عمل بها مهتد ومن اسْتنصر بها منصور، ومن خالفهما اتبع غير سبيل المؤمنين وولَّاه الله ما تولى وصلَّاه جهنم وساءت مصيراً.

وما أعظم كلمة الإمام أحمد رحمه الله تعالى في تعظيم ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ عندما قرر:

أُصول السنة عندنا:

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة ضلالة. اهـ.

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٧٩ .
(٢) أثر صحيح أخرجه عبد الله بن الإمام في السنة رقم (٧٦٦) (١/ ٣٥٧) والخلال في كتابه السنة رقم ١٣٢٩ (٤/ ١٢٧) وابن عبد البر في جامع بيان وفضله رقم ٢٣٢٦ والآجري في الشريعة (١/ ١٧٤) وابن بطة العكبري في الإبانة رقم (٣٣٠).

ولله در الإمام السلفي ابن القيم رحمه الله تعالى الذي يقرر في النّونية فضل الصحابة رضي الله عنهم وأنهم أفضل الخلق بعد النبيين.

وأشهدْ عليهم أن أصحاب الرسول ... خيار خلق الله من إنسان

حاشا النبيين الكرام فإنهم ... خيرُ البرية خِيرةُ الرحمن

وخيارهم خُلفاؤه من بعدهِ ... وخيارهم حَقًّا هما العُمران

والسابقون الأولون أحق بالتقديم ... ممن بعدهم ببيان

كُلٌّ بحسبِ السبق أفضل رُتْبةٍ ... من لا حقٍ والفضل للديان

مدح الأنصار[1]:

يا مبغضاً أهل الحديث وشاتمًا ... أَبْشِرْ بعقْد ولاية الشيطان

أو ما علمتَ بأنهم أنصارُ دين ... الله والإيمان والقرآن

أو ما علمت بأن أنصارَ الرسول ... هُمُ بلا شك ولا نكران

هل يبغض الأنصارَ عبدٌ مُؤمنٌ ... أو مدرك لروائح الإيمان

شَهِدَ الرسول بذاك وهي شهادةٌ ... مِن أصدق الثَّقَلين بِالبرهان

لماذا فهم السلف

قلت:

يتعين على كل مسلم أراد فهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ أن يخضع وينقاد لفهم السلف وهم صحابة النبي ﷺ فما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من كلام الله سبحانه واستقر ذلك عندهم يجب علينا أن لا نخالفهم ولا نتكلف ونتنطع في المباينة لمن زكاهم ومدحهم وعدلهم وهو العليم الحكيم سبحانه وهذه العقيدة استسلم لها التابعون القرن الثاني الذي أثنى عليه النبي ﷺ كما تقدم ولم يخالفوا الصحابة رضي الله عنهم البتة بل يرون أنَّ من خالفهم في الفهم فقد

(١) النونية ص٢٨١ .

شذ وابتدع كالخوارج والرافضة والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة، وتأمل هذا الأثر الذي يتجلى فيه حرص السلف على الرجوع إلى أصحاب النبي ﷺ في الفهم ومعرفة أمور الاعتقاد.

عن يحيى بن سعيد قال:

كان أول من قال بالقدر بالبصرة مَعْبد الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحِميري حاجِّين أو مُعْتمرين فقلنا:

لو لقينا أحداً من أصحاب الرسول ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القَدَر، فَوُفِّقَ لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفْتُهُ أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والاخر عن شماله فظننتُ أن صاحبي سيكِل الكلام إلي فقلت:

أبا عبدالرحمن! إنه قد ظَهَرَ قبلنا ناس يقرؤن القرأن وَيَتَقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قَدرَ وأن الأمَر أُنُف.

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برءاء مني.

وفي رواية: فلما أتينا المدينة لَقِينْا أُناسَاَ من الأنصار فلم نسألهم قلنا: حتى نلقى ابنَ عمر أو أبا سعيد الخدري[1].

قلت:

وفي هذه الحادثة أمر هام وهو رجوع طلبة العلم أو السلف إلى الصحابة في الحكم والبيان.

وهكذا فعل الإمام المجدد العلامة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بقوله:

(١) رواه مسلم والطبراني ١٢/ ٤٣٠ وابن مندة في الإيمان (١١) واللالكائي في شرح أصول السنة وهو صحيح (١٠٣٧).

عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء وبوب له الحافظ النسائي من قبله رحمه الله تعالى بقوله: توقير العلماء.

وإليك هذا الأثر السلفي النافع في رجوع الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إلى من هو أعلم منه وأفقه وهو عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما.

قال عمرو بن يحيى سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال:

أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا فجلس معنا حتى خرجَ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنْكرتُهُ، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال:

وما هو؟ قال إِنْ عِشْتَ فستراه، قال:

رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصىً، فيقول:

كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول: هلّلوا مائة فَيُهلّلون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبِّحون مائة.

قال:

فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك - أو انتظار أمرك- قال: أفلا أمرتَهم أنْ يَعُدوا سيئاتهم وضمنتَ لهم أنْ لا يَضيعَ من حسناتهم، ثم مَضى ومضينا معه حتى أَتَى حلقةً من تلك الحلق- فوقف عليهم فقال:

ما هذا الذي أراكم تَصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصَىَ نعد به التكبير

والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أنْ لا يضيع من حسناتكم شيء منكم. يا أُمة محمد! ما أسرعَ هلكَتكُمُ، هؤلاء صحابةُ نبيِّكم مُتوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيتُهُ لم تكْسرْ والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد؟ أو مفتتحو باب ضلالة؟

قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لن يُصيبَه.

إن رسول الله ﷺ حدثنا أنَّ قوماً يقرؤن القرآن لا يُجاوز تراقِيَهم، وأيْمُ الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولَّى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَقِ يُطاعِنُونا يوم النهروان مع الخوارج[(١)].

في هذه الحادثة:

عبر وفوائد

١- منها الرجوع إلى أهل العلم والنُّهى في كشف وبيان هذه الحادثة أو النازلة أو هذا الرأي.

فأبو موسى الأشعري الفقيه اللوذعي لم يَشأ أن يقول قولًا لهم أو يفتي بفتيا إلا بعد مراجعة من هو أفقه وأعلم منه بهذه الأُمور.

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه الفقيه الذي بعثه رسول الله ﷺ داعياً إلى الإسلام ومبشراً.

قلت: وهذا هدي وفقه السلف رضي الله عنهم أنهم يرجعون أقوالهم بل ويتوقفون

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الدارمي (١/ ٨٦ - ٨٧) رقم (٢١٠) وابن أبي شيبة في المصنف رقم (١٩٧٣٦) في تاريخ واسط (ص١٩٨ - ١٩٩)، وعبد الرزاق في المصنف (رقم ٥٤٠٩) والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٨٦٣٠ - ٨٦٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٨٠ - ٣٨١) وعبد اللّه بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (٢٠٨٩).

في إصدار الفتوى حتى يؤخذ رأي الأفقه والأعلم كما ذكروا أيضاً أنه ليس من الأدب التقدم بالكلام والإفتاء في حضرة من هو أعلم منه وفي هذا عظةٌ لنا أن تأخذ الحق والصواب من أهل العلم الراسخين.

قال الإمام الحافظ أبو المظفر السمعاني رحمه الله تعالى في كتابه الانتصار لأهل الحديث.

«أبى الله أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سكله أصحاب الحديث. . .».

قلت:

كذلك مما يدل على حجية فهم السلف وأن كلام وقول أهل الحديث هو الحق وعند الاختلاف يكون هو الأصوب ما قاله اللكنوي:

ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنِّباً الاعْتساف، يعلم عِلْماً يقيناً أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذهب غيرهم وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدثين فيها قريباً من الإنصاف، فلله دَرُّهم وعليه شكرهم كيف لا وهم ورثة النبي ﷺ حقاً ونواب شرعه صدقاً حشرنا الله في زُمرتهم وأماتَنا على حُبِّهم وسيرتهم.

قلت:

وما كان لهم ذلك إلا أنهم اتبعوا هدي رسول الله ﷺ فرزقهم الله تعالى حسن الاتباع ورجاحة الحجى وإصابة الحق وجودة الفهم.

قال أبو العباس الأبِّياني: ثلاث لو كُتبن في ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة:

«اتبع ولا تبتدع، اتَّضع لا ترتفع، من ورع لا يتَّسع»[(١)].

وما أجمل كلمة سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «وجدت الأمر بالاتباع».

قلت:

وأهل السنة والجماعة أهل الأثر والحديث هم أولى الناس بفهم نصوص الوحيين لا غرو بأن الله تعالى قد وفَّقهم وحباهم الصفات الحميدة والأفهام السديدة والعقول الراجحة لإقامة شرعه ودينه وهم خلاصة الإنسان!

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[(٢)]:

وإلى أولي العرفان من أهل الحديث ... خُلاصَةِ الإنسان والأكوان
قوم أقامهم الإلهُ لحفظ هذا ... الدين من ذي بِدْعَةٍ شيطان
وأقامهم حَرَساً من التبديل ... والتحريف والتتميم والنقصان
يَزكٌ على الإسلام بل حِصنٌ له ... يأوى إليه عساكرُ الفُرقان
فَهُم المَحكُّ فمن يَرَى مُتنقِّصاً ... لهم فزنْديقٌ خبيثُ جَنانِ

قلت:

وما أجمل كلمة الإمام الرباني أبي بكر الآجري في مقدمة كتابه (أخلاق العلماء)[(٣)] أن الله جل وعلا اختص مِنْ خَلْقِه مَنْ أحبَّ فهداهم للإيمان والفهم السليم والفقه في الدين قال رحمه الله تعالى:

أما بعد فإن الله - عز وجل وتقدست أسماؤه - اختص من خلقه من

---

(١) ذكره القرافي في الفروق (٤/ ٢٠٥).
(٢) النونية (ص١٥٣).
(٣) (ص١٣، ١٤).

أحب، فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب فتفضل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين وعلمهم التأويل، وفضلهم على سائر المؤمنين. وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يُعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل والضار من النافع والحسن من القبيح، فضلهم عظيم وخطرهم جزيل[١]، ورثة الأنبياء وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العبّاد، وأعلى درجة من الزهّاد، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكّرون الغافل، ويعلمون الجاهل، لا يتوقع لهم بائقة[٢] ولا يخاف منهم غائلة[٣] بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج[٤]، الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عَنِدَ[٥]، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليهم حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر[٦]، وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون[٧] فهم سراج العباد ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل

---

(١) جزيل: عظيم «لسان العرب (١١/ ١٠٩).

(٢) البائقة: الداهية وجمعها بوائق، «اللسان» (١٠/ ٣٠).

(٣) الغائلة: «الداهية، جمعها: غوائل. «اللسان» (١١/ ٥٠٧).

(٤) رجل محجاج: جَدِل: يعني كثير الجدل. «اللسان» (٢/ ٢٢٨، ١١/ ١٠٥).

(٥) عَنِدَ عنداً: تباعد وعدل. «اللسان» (٣/ ٣٠٧).

(٦) يصدر عنه: يرجع عنه. «اللسان» (٤/ ٤٤٩).

(٧) عولت به وعليه: استعنت. «اللسان» (١١/ ٤٨٣).

النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا» اهـ.

قلت:

وَمِنْ فهم السلف الحق لكتاب الله جل وعلا ولهدي وحديث النبي ﷺ أنهم ﷺ قد نبذوا ما خالف سنة النبي ﷺ وتركوه لأن المخالف عنده قصوره وتفريط في فهم نصوص الوحيين الكريمين واتخذوا طرقاً وسبلًا عويصة لفهم الإسلام فازدادوا عماية وغواية وضلالة في تعلُّقهم وتذرعهم بالتأويل.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[١]:

تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أنْ تولى عنك الولي فلا تظن أن الشيطان غَلَبَ، ولكن الحافظ أعرض.

وقال رحمه الله تعالى مبينًا أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة[٢].

«العقول المؤيَّدة بالتوفيق ترى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة، والعقول المضروبة بالخذلان تَرَى المعارضة بين العقل والنقل، وبين الحكمة والشرع» اهـ.

قلت:

وكان موقف السلف ﷺ هو التسليم للنصوص دون الجنوح إلى التأويل الباطل والمخالف للسلف ولفهمهم العظيم لصفات الباري جل وعلا.

ولله در شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عندما ردَّ على أهل التأويل وأهل

---

(١) «الفوائد» (ص١٧٨).
(٢) (ص١٧٩).

الفهم السقيم وأفحمهم عندما قال في التسعينية[١].

وأما السلفية فعلى ما حكاه الخطابي وأبو بكر الخطيب وغيرهما قالوا.

مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها فلا نقول: إن معنى اليد القدرة ولا أن معنى السمع العلم، وذلك أن الكلام في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات يُحتذى فيه حذوَه ويُتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات، إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فقد أخبرك الخطابي والخطيب وهما إمامان من أصحاب الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متفق على علمهما بالنقل وعلم الخطابي بالمعاني:

إن مذهب السلف إجْراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، والله تعالى يعلم أني قد بالغتُ في البحث عن مذهب السلف، فما علمت أحداً منهم خالف ذلك» انتهى المقصود والمراد منه.

قلت:

ومما له علاقة وثيقة وارتباط كبير، هذه المسألة العظيمة وهي الاحتجاج بفهم السلف ومما يؤيد ويشد من أزره هو أن علماء السلف هم ورثة النبي ﷺ فكل عالم وافق السلف واسْتنهَجَ منهجهم. فهو المراد من قوله ﷺ من حديث أبي الدرداء:

١- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢]: «من سلك

---

(١) (٢/ ٥٥٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم ورواه أبو داود في كتاب العلم (٣٦٤١) والترمذي في كتاب العلم (١٩) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦) وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣) والمحاملي في أماليه (٣٥٤١) والدارمي في كتاب العلم (١/ ٩٨) وأحمد (٢/ ٢٥٢) وابن حبان (٨٨) والبيهقي في الآداب (١١٨٨) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٢٩) والبزار «كشف الأستار» (١٣٦).

طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لا يورثون ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وقال ابن تيمية: (من المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدعوة علماً وعملًا، ودعوا إلى الله والرسول، فهؤلاء اتباع الرسول حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا (ورثة الأنبياء) وهكذا ورثتهم من بعدهم فهم أعلم الأمة بحديث الرسول وسيرته ومقاصده وأحواله، ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً أو باطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم) اهـ.

قال ابن القيم[1]:

(وقوله إن العلماء ورثة الأنبياء) هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خيرُ خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، فإن الميراث إنما يكون

(١) مفتاح دار السعادة (ج١ص٢٦١).

لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء.

وفيه أيضاً إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم، واحترامهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم.

وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين، وبغضهم منافٍ للدين، كما هو ثابت لموروثهم.

وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم) اهـ.

وقال ابن رجب رحمه اللّه: (يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله) اهـ.

٢- وقال موسى بن منصور: (رأى الفضيل بن عياض قوماً من (أصحاب الحديث)- يعني بهم بعض الخفة- فقال: (هكذا تكونون يا ورثة الأنبياء!)[1].

قلت:

وهذا العلم الموروث من النبي ﷺ هو العلم النافع الذي مكّن الصحابة من فهم كتاب الله جل وعلا وآثار النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني

(١) أثر حسن: أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص٩٣)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج٨ ص١٠٠) والخلدي في الفوائد (ص٤١) من طريقين عنه.

القرآن والحديث.

وفيما وَرَدَ عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً وفي ذلك كفاية لمن عَقَلَ وشُغِلَ بالعلم النافع. اهـ

قلت:

وما أنبل حكمة الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الأخذ بفهم وأقوال الصحابة كما في كتاب السنة للخلال[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رسالته إلى أبي عبدالرحيم محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني قال: كتب إليَّ أحمد بن حنبل قال:

أحسن الله إلينا وإليك في الأُمور كلها وسلَّمك وإيانا من كل سوء برحمته، أتاني كتابك تذكر فيه ما يذكر من احتجاج من احتج من المرجئة واعلم رحمك الله:

أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة وإنَّ تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معناها أو معنىً ما أراد الله عز وجل أو أثر عن أصحاب الرسول ﷺ ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ وشهدوا تنزيلَه وما قصَّه له القرآن وما عنى به وما أراد به وخاص هو أو عام فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه، فهذا تأويل أهل البدع لأن الآية تكون خاصة ويكون حكمها حكماً عاماً ويكون ظاهرها على العموم فإنما قُصِدَت لشيء بعينه ورسول الله ﷺ المعبِّر عن كتاب الله عز

(١) (١١٠٣).

وجل وما أراد، وأصحابه ﷺ أعلم بذلك منا لمشاهدتهم ما أُريد بذلك.

وقال رحمه الله تعالى:

لا يكاد الشيء إلا يوجد فيه عن أصحاب النبي ﷺ اهـ.

ونقلَ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في المسودة(١) عن أحمد رحمه الله تعالى:

وقال أحمد في الصحابة إذا اختلفوا لم يُخْرَجْ من أقاويلهم، قال:

أرأيت إنْ أجمعوا له أن يُخرج من أقاويلهم؟

هذا قول خبيث قول أهل البدع، لا ينبغي أن يخرج من أقاويل الصحابة إذا اختلفوا» اهـ.

وقال الشافعي قولًا جميلًا في التعويل والذهاب إلى أقاويل الصحابة وهم فوق الأُمة في كل علم نقل البيهقي في المدخل عن الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى أنه قال في الرسالة العتيقة:

وممن أدركنا ممن يُرْضى أو يُحكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سُنة إلى قولهم أي أصحاب رسول الله ﷺ إذا أجمعوا وقول بعضهم إنْ تفرقوا بهذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم وإنْ قال واحدٌ منهم ولم يُخالفه غيره أخذنا بقوله فإنهم فوقَنا في كل علم واجتهادٍ ووَرَعٍ وعدْلٍ وأمرٍ اسْتُدْرِكَ به علم أو استنبط به قياس وآراؤهم لنا أحمدُ وأولى من اتباعنا لأنفسنا» اهـ.

وقال الشافعي(٢):

---

(١) (ص٣١٥).
(٢) «المدخل» (١/ ٤٤-٤٥).

فكنا نقول إذا اجتمعوا (أي صحابة النبي ﷺ ﷺ أخذنا باجتماعهم وإن قال واحدهم ولم يخالفْه غيره أخذنا بقوله فإن اختلفوا أخذنا بقوله بعضهم ولم نخرج من أقاويلهم كلهم».

وقال كذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى[١]:

وقد تأملت من هذا الباب ما شاء الله فرأيت الصحابة (ﷺ) أفقه الأُمة وأعلمَها واعْتَبِرُ هذا بمسائل الإيمان بالنذر والعتق والطلاق وغير ذلك ومسائل تعليق الطلاق بالشروط ونحو ذلك وقد بيَّنتُ فيما كتبتُه أن المنقول فيها عن الصحابة هو أصح الأقوال قضاءً وقياساً وعليه الكتاب والسنة وعليه القياس الجلي، وكل قول سوى ذلك تناقض في القياس مخالف للنصوص وكذلك في مسائل غير هذه مثل مسألة ابن الملاعنة ومسألة ميراث المرتد وما شاء الله من المسائل لم أجد أجود الأقوال فيها إلا الأقوال المنقولة عن الصحابة» انتهى.

وفي كتاب المسودة في أصول الفقه لشيخ الإسلام[٢] قال أحمد في رواية المروزي:

يُنظر ما كان عن رسول الله ﷺ فإن لم يكن عن رسول الله ﷺ فعن أصحابه فإن لم يكن فعن التابعين وفي رواية أبي داود رحمه الله تعالى قال أحمد:

«الاتباع أن تتبع ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وهو بعد في التابعين مخيَّر».

(١) (٢٠/ ٥٨٢).
(٢) (١/ ٣١٧).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: مجموع الفتاوى[١] والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأُمة».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ جل وعلا مبيناً أن للصحابة فَهْماً للقرآن يخفى على كثير من المتأخرين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

وللصحابة فهم في القران يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفةً بأُمورٍ من السنة، وأحوال الرسول ﷺ لا يعرفها أكثر المتأخرين فإنهم شهدوا الرسول ﷺ والتنزيل وعاينوا الرسول ﷺ وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس.

وقال الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى.

ما من مسألة إلا وقد تكلم فيها الصحابة أو نظيرها».

ثم بيَّن رحمه الله تعالى «أن الأصل أن يُبدأ بالقرآن والسنة ثم الإجماع

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]:

ولكن طائفة من المتأخرين قالوا:

يبدأ المجتهد بأن ينظر أولًا في الإجماع فإن وجده لم يَلْتفتْ إلى غيره وإنْ وَجَدَ نصَّاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنصٍ لم يبلغه، وقال بعضهم: الإجماعُ نَسَخَهُ!

---

(١) (٣/ ١٥٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٠٠).
(٣) (١٩/ ٢٠١).

والصواب طريقة السلف» اهـ.

قلت:

وما أجمل وأحكم كلمة الإمام الحافظ أبي عبدالله البوشنْجي محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى:

«الواجب على جميع أهل العلم والإسلام: أنْ يلزموا الفضل للاتباع وأن يجعلوا الأُصول التي نزل القرآن وأتت بها السنن من الرسول ﷺ غايات للعقول ولا يجعلوا العقول غايات للأصول.

قلت:

هذا الكلام مع قلة ألفاظه وقلة عدد حروفه حوى واشتمل على معانٍ علمية سلفية.

١- أن على كل مسلم أنْ يلزم القصد لأن الإسلام الحق هو كما قال جل وعلا:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فالقصد هو التوسط في الأمور لا غلو ولا مبالغة ولا تفريط.

فأهل السنة والجماعة والأثر وسط بين الفِرَق المنحرفة عن هدي رسول الله ﷺ وهدي السلف.

٢- ويجب على كل مسلم أن يعظم الأصول السلفية التي جاء بها القرآن العظيم وأحاديث الرسول ﷺ ويتمسك بما جاء في الكتاب والسنة.

قال أبو المظَفَّر السمعاني:

وأما أهل الحق فَجَعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قِبَلِهِما وما وقَعَ من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإنْ وجدوه موافقاً

لهما قبلوه وشكروا الله عز وجل حيث أراهم ذلك ووفَّقهم عليه وإنْ وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يَرَى الحق وقَد يرى الباطل.

وقال رحمه الله تعالى:

وأما أهل السنة- سلَّمهم الله- فإنهم يتمكسون بما نَطَقَ به الكتاب والسنة، ويحتجون له بالحجج الواضحة والدلائل الصحيحة على حسْب ما أذِنَ فيه الشرع وورد به السمع.

ولا يُدخلون بآرائهم في صفات الله تعالى ولا في غيرها من أمور الدين. وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]. وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال ﷺ في خطبة الوداع، وفي مقامات شتى، وبحضرته عامة أصحابة ﷺ: «ألا هل بلغت؟»[١]. وكان مما أنزل إليه، وأمر بتبليغه: أمر التوحيد، وبيانه بطريقته، فلم يترك النبي ﷺ شيئاً من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لو أخر فيها البيان لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه» اهـ.

وقال أيضاً رحمه الله: «إنا أمرنا بالاتباع والتمسك بأثر النبي ﷺ، ولزوم ما شرعه لنا من الدين والسنة، ولا طريق لنا إلى هذا إلا بالنقل والحديث،

(١) رواه البخاري كتاب العلم رقم (١٠٥)، ومسلم كتاب القسامة (٤٤٨٠) وابن ماجة في الفتن (٤٠٦٦) ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٢٠٩٢٣).

بمتابعة الأخبار التي رواها الثقات، والعدول من هذه الأمة عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة من بعده؛ فنشرح الآن قول أهل السنة: إن طريق الدين هو السمع والأثر. وأن طريقة العقل والرجوع إليه، وبناء السمعيات عليه، مذموم في الشرع ومنهي عنه، ونذكر مقام العقل في الشرع، والقدر الذي أمر الشرع باستعماله وحرم مجاوزته..».

وقال تلميذه قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الاتباع؛ لأن الدين إنما جاء من قِبَلِ الله تعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، قد بين الرسول ﷺ السنة لأمته، وأوضحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين فقد ضلَّ» اهـ.

وقال: «ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد، والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة، فأمّا ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل» اهـ.

قلت:

وما أروع كلمة الإمام الحافظ حافظ المغرب أبي عمر بن عبدالبر رحمه الله تعالى في ذكره أن علماء السلف والأثر هم أهل الفهم الصحيح والإتقان الباهر وهم العلماء حقاً.

قال رحمه الله تعالى(١):

أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يُعَدُّوْنَ عند الجميع في جميع طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والمِيزِ والفهم. اهـ

---

(١) «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٤٢) (رقم ١٧٩٩).

قلت:

وكان من فقه الإمام أحمد رحمه الله تعالى تقديم فقه الصحابة وفهمهم على أقوال التابعين كما في مسائل الإمام أحمد لأبي داود رحمهما الله تعالى.

قال أبو داود:

سمت أحمد سئل: إذا جاء الشيء عن رجل من التابعين لا يُوجد فيه عن النبي ﷺ يلزم الرجل أن يأخذ به؟

قال لا، ولكن لا يكاد الشيء يجئ عن التابعين إلا يوجد فيه عن أصحاب النبي ﷺ.

قال أبو داود: يعني عندي ما يُمثل عليه ذلك الشيء.

قلت:

بمعنى يقاس عليه نظيره وشبهه.

وفي العدة:

في رواية أبي الحارث سئل رحمه الله تعالى:

إلى أي شيء ذهبت في ترك الصلاة بين التراويح فقال: ضرب عليها عقبة بن عامر رضي الله عنه ونهى: عنها عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقيل له يُروى عن سعيد والحسن أنهما كانا لا يَرَيان بأساً بالصلاة بين التراويح؟

فقال: أقول لك أصحاب رسول الله ﷺ وتقول التابعين؟!

وسأله عن عدد قتلوا رجلًا؟

قال: يقادون به يُروى عن عمرو، ويُروى عن بعض التابعين أنه لا يُقتل

اثنان بواحد؟

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وما يُصنع بالتابعين؟!

قال الإمام ابن القيم الجوزية مادحاً الصحابة رضي الله عنهم[(١)]:

هـذا وسـادسَ عـشـرَهـا إجـمـاعُ أهلِ العلم أعني حجةَ الأزمان
مِنْ كلِّ صاحب سُنَّة شهدَتْ له أهلُ الحديث وعسكر القرآن
لا عـبـرَةَ بـمـخـالـف لـهـم ولـو كانـوا عـديدَ الشـاء والبُعْران

وكما قيل:

وليس كـل خـلاف جاء مُعْـتبـراً إلا خلافٌ له حظٌ من النَّظَرِ

قلت:

وهؤلاء الذين «لا عبرة بمخالف لهم» وضعوا قواعد وأسساً تخالف منهج السلف وفهم خير الناس قرناً سبيل المؤمنين.

وهذه الأدلة التي اهتدوا لها! هي عندهم غاية في البيان والإقناع والحجة.

سبحان الله! هذه الأدلة والبراهين وفِّقَ لها هؤلاء: وحرمها خير القرون.

والله ما هذه الحجج إلا حجج تهافت كالزجاج تخالُها حقا وكل كاسر ومكسور.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عن حجج هؤلاء الناس في النونية:

وخـيـامُـكـم مـضـروبـةٌ بـالـتِّـيـهِ فـالـسُكَّـان كـلُّ مُـلَدَّدٍ حـيـران

وقال عن حجج السلف:

---

(١) النونية (ص٨٦) .

وخيامُنا مضروبةٌ بمشاعر   الوحيين من خَبَرٍ ومن قرآن

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى[١]:

ولكم تصانيفُ الكلام وهذه   الآراء وهي كثيرةُ الهذيان
شَبَةٌ يُكسِّرُ بعضُها بعضاً كبيْتٍ   من زجاجٍ خَرَّ للأركان

وقال عن مذهب السلف[٢]:

ولنا المسانِدُ والصحاحُ وهذه   السننُ التي نابت عن القرآن

قلت:

فالذي خالف منهج السلف لا يمكن أن يقوم بحمل رسالة الإسلام الحق لابد أن يقع في البدع وداء التأويل.

فهي قلوب عليها غشاوة وأكنة وأذهان سقيمة

فقل للعيون الرمد إياك أن ترى   سنا الشمس فأستغشى ظلام اللياليا

وكما قال المتنبي[٣]:

ومن يك ذا فمٍ مُر مريض   يجد مُرا به الماءَ الزلالا

وهم الذين اشتغلوا بعلم الكلام والفلسفة والسفسطة وقعدوا قواعد وأصول!! خالفوا فيها السلف وهي بالحق زبالة الأذهان وكناسة الهذيان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأدلة الإثبات حقاً لا يقوم   لها الجبال وسائر الأكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه   مع فطرة الرحمن والبرهان
أنَّى يعارضها كناسة هذه   الاذهان بالشبهات والهذيان

(١) النونية (ص٢٦٢).
(٢) ديوانه (٣/ ٢٢٨) (رقم ٢٩) شرح أبي البقاء العكبري.

وجعاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب لوارد ظمآن

وما أجمل كلام الإمام الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح صاحب علوم الحديث رحمه الله تعالى.

وهو يذم الفلسفة والمنطق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاويه عندما سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين ومن تلبس بها قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان وأظلم قلبه عن نبوة محمد ﷺ.

واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة وليس بالأحكام الشرعية ولله الحمد افتقار إلى المنطق أصلًا هو قعاقع قد أغنى الله كل صحيح الذهن فالواجب على السلطان أعزّه اللّه ان يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشايخ ويخرجهم من المدارس ويبعدهم[١].

وما أجمل كلمة الإمام الأصولي أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله تعالى البليغة الموجزة في أن التفقه والتعلم على طريقة السلف يعين على فهم مقاصد الشريعة.

قال رحمه الله تعالى[٢]:

---

(١) انظر سير إعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٣).
(٢) «الاعتصام» (١/ ٦٨٣).

إن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها اهـ.

قلت:

والتفقه في علوم الشريعة على منهج السلف لا على منهج منحرف زائغ.

وهذا العلم الصحيح الذي قيده صاحبه وألزم نفسه به يؤدي إلى القول الصحيح والإفتاء السليم بحيث يمتعض إذا خالف منهج السلف فلا يقول ولا يفتي إلا بالدليل الصحيح.

وإذا خالف هذا المنهج خبط خبط عشواء وأتى بالظنون والوساوس.

قال أبو الفضل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[١]:

«القول فيما لا يعلم قسم من التكلف» اهـ.

وانظر إلى كلام الإمام الحافظ ابن بطة العكبري رحمه الله تعالى في إبطال الحيل[٢] (توفي ٢٨٧):

«إن أكثر المفتين في زماننا مجانين».

قلت:

هذا في زمنه وعهده وهو زمن قريب من نور النبوة وتحصيل العلم النافع.

فكيف بزماننا هذا الذي أصبح فيه من لا علم عنده يفتي ويتكلم في أمور الشرع لو كانت على عهده عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر.

حقاً أن زماننا زمان تكلف وهذا يؤدي إلى انصهار الدين وذهاب معالمه واندراس العلم إذا تصدر للفتيا والحكم على الرجال الأغرار والأحداث ومن

---

(١) «الفتح» (٨/ ٥١٢).
(٢) (ص٦٦).

ليس له أهلية في البيان والفتوى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى- مجموع الفتاوى[١]:

(الرسول ﷺ بين الأصول الموصلة إلى الحق أحسن بيان وبيَّن الآيات الدالة على الخالق سبحانه وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ووحدانيته على أحسن وجه.

وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق بل أصلوا أصولًا تناقض الحق فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولًا تناقض الحق ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ فقدموها على ما جاء به الرسول ﷺ فيابئس ما أصلوا وما فرعوا.

وقال:

وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسنة وعدولهم عنها إلى زخرف القول والغرور لتقوي باطلهم وتقريبه إلى القلوب الضعيفة لاح لك الحق وبان الصدق فلا تلْتفت إلى ما أسسوه ولا تبال بما زخرفوه والزم نص الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللَّذَيْنِ هما أصول الشرعيات تقف على الهدى المستقيم اهـ.

قلت:

هذا هو الذي يتعين على المسلم الأخذ به فهو لا يبرح إلا أن يتبع النصوص الشرعية ويذر نصوصاً خالفت النص الشرعي ومن خالف هذا المنهج ضل ضلالًا بعيداً.

(١) (٨/٢٧).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[١]: فما ذنب أهل السنة والحديث إذا انطقوا بما نطقت به النصوص وأمسكوا عما أمسكت عنه ووصفه رسوله وردوا تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين الذين عقدوا ألوية الفتنة وأطلقوا أعنة المحنة وقالوا على اللّه وفي اللّه بغير علم فردوا باطلهم وبينوا زيغهم وكشفوا إفكهم ونافحوا عن اللّه ورسوله ﷺ.

قال منذر بن سعيد رحمه الله تعالى ناعياً على الذين لا يأخذون بقول الله عز وجل وقوله رسوله ﷺ

عُذَيْري من قوم يقولون كلما ... طَلَبتُ دليلًا هكذا قال مالك
فان عدتُ قالوا هكذا قال أشهبُ ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فان زدتُ قالوا قال سحنونُ مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضَجُّوا وأكثروا ... وقالوا جميعاً أنت قرنٌ مماحِك
وإن قلت قال الرسولُ فقولهم ... ائت مالكا في ترك ذاك المسالك

قال أبو سليمان الخطابي (الغنية عن الكلام):

عصمنا اللّه وإياك أخي من الأهواء المضلة والآراء المغوية والفتن المحيرة ورزقنا وإياك الثبات على السنة والتمسك بها ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف وانتهجها بعدهم صالحوا الخلف وجنبنا وإياك مداحض البدع وثنيات طرقها العادلة عن نهج الحق وسواء الواضحة أعاذنا وإياك من حيرة الجهل وتعاطي الباطل والقول بما ليس لنا به علم والدخول فيما لا يعنينا والتكلف لما قد كفينا الخوض فيه ونهينا عنه ونعمنا وإياك بما علمنا وجعله سبباً لنجاتنا ولا جعله وبالًا علينا برحمته ثم قال رحمه اللّه تعالى بعد أن بين ترك الكلام وعدم الخوض فيه.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٦٢).

قال:

واعلم يا أخي أدام الله سعادتك أن هذه الفتن قد عمت اليوم وشملت وشاعت في البلاد واستفاضت» اهـ.

وقال أبو المظفر منصور السمعاني رحمه الله تعالى :

فليتق امرءٌ ربه عز وجل ولا يدخلن في دينه ما ليس منه وليتمسك بآثار السلف والأئمة المرضية وليكونن على هديهم وطريقهم وليعض عليها بنواجذه ولا يوقعن نفسه في مهلكة يضل فيها الدين ويشتبه عليه الحق والله حسيب أئمة الضلال الداعين إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون. اهـ

ونقل الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي عن الإمام الذهبي رحمهما الله تعالى في جهاد شيخ الإسلام في الدعوة إلى فهم السلف.

ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه وبدَّعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يماري بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية مصرية وكم من نوبة قدرموه عن قوس واحد فينجيه الله فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة والاستعانة به قوى التوكل ثابت الجاش. اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مبيناً أنه كان داعية إلى اعتقاد السلف والانتصار له طوال حياته المباركة رحمة الله تعالى عليه.

قال:

إني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي أو غير حنبلي ولا انتصرت لذلك ولا أذكره في كلامي ولا

أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

وقال ابن القيم[1] رحمه الله تعالى في بيان جهاد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وذبه عن منهج السلف ودحض أقوال وترهات الفلاسفة.

وكذلك تسعينية فيها له ... ردٌ على من قال بالنفساني
تسعون وجها بينت بطلانه ... أعني كلام النفس ذا الوحداني
وله المقامات الشهيرة في الورى ... قد قامها لله غير جبان
نصر الإله ودينه وكتابه ... ورسوله بالسيف والبرهان

قلت:

والذي يجب على المسلم هو الخضوع والانصياع لقول الله جل وعلا وقول نبيه ﷺ وأن يعظم ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ وهو الرد إلى الأمر الأول وأن لا يقدم عقلًا ولا ذوقاً ولا قياساً ولا رأياً على كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ وإلا فهو هالك إذا وقع في التأويل الباطل.

وما أجمل كلمة الإمام مالك رحمه الله تعالى في الرجوع إلى أهل العلم أهل التقوى وأولى النظر.

عن خلف بن عمر صديق كان لمالك قال: سمعت مالك بن أنس يقول:

ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني هل تراني موضعاً لذلك؟ وسألت ربيعة وسألت يمنى بن سعيد فأمرني بذلك فقلت:

يا أبا عبدالله فلو نهوك قال كنت انتهى لا ينبغي للرجل إن يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه[2].

---

(١) النونية رقم (٣٦٥٥).
(٢) أخرجه البيهقي في المدخل (٤٤٠)، الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٤) وإسناده حسن.

قلت:

ما أعظم هدي السلف وحرصهم على نقاء الإسلام والسنة.

لذا فيجب علينا أن نعظم هديهم وسمتهم ويجب أن يتصدَّر للفتيا والتعليم والتدريس أصحاب المنهج السوي وهم الذين يتبعون هدي النبي ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم أجمعين وإذا تصدر للفتيا أصحاب المناهج المنحرفة ومن لا يعظمون الدليل وهم المقلدون دون بينة ولا برهان، لا ريب بأنهم يأتون بأوابد وغرائب.

وتأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل: وما الرويبضة؟ قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة(١).

قلت:

ففي هذا الزمان ترأس الرويبضة ونطق من لا علم عنده.

وما أجمل ما قاله أبو الحسن بن المفضل المقدسي رحمه اللّه تعالى:

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس(٢)

وتأمل حديث النبي ﷺ حديث عبدالله بن عمرو الذي يبين فيه الرسول ﷺ أن ذهاب أهل المنهج الحق واندراس علم السلف.

(١) إسناد حسن- أخرجه ابن ماجه (٢/ ٣٣٩) وأحمد (٣/ ٢٢٠).
(٢) انظرا الإفادات والإنشادات للشاطبي (ص٨٦-٨٧).

لهو أعظم سبيل إلى انتشار البدع والجهل المركب ويتفاقم الأمر اعتياصاً إذا ترأس الأغمار واستحكم فيه أهل الأهواء وذلك بأنهم لا يبرحون أن يحدثوا فتنا ولا يكترثوا بمخالفة السلف ولا ينشبوا أن يأتوا بقواعد متهافتة وأسس باطلة في نصر مذهبهم كما قيل:

لولا التنافُسُ في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد

يحللون بزعمهم عقداً وبالذي وضعوا زادت العقد

والحديث هو:

عن عبداللّه بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال[١]:

«إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بموت أهله حتى إذا لم يُبْق عالماً اتخذا لناس رؤوسا جهالًا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية[٢]:

قُفْلٌ من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان

ومفاتح الأقفال في يَدِمَنْ له التصريف سبحان العظيم الشأن

الجهل المركب: هو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه مثاله: كمن يقول الخمر نوع من أنواع الفاكهة، والجهل البسيط: عدم إدراك الشيء بالكلية- مثال: كمن يقول لا أعرف ما الخمر.

ورحم الله الإمام أحمد ما أروع تعظيمه وتمسكه بالسلف كما قال في

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) والنسائي في السنن الكبرى والترمذي (٢٦٥٢) وابن ماجه (٥٢) وأحمد (٢/ ١٦٢ و١٩٠ و٢٠٣).
(٢) (١٦٤٢).

رسالة عبدوس بن مالك العطار رحمه الله تعالى[١].

قال عبدوس:

سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه يقول:

«أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم».

قلت:

وما التمسك والاقتداء والاتساء بهم إلا الفهم الذي فهموه عن الله عز وجل في كلامه وعن رسول الله ﷺ من حديثه وإذا شاققناهم في الفهم ومعرفة تفسير كلام الله عز وجل ومراده تبارك وتعالى ومراد النبي ﷺ فقد خالفنا سبيل المؤمنين الذي حذرنا ربنا عز وجل من مخالفة هذا السبيل المعصوم والطريق الموسوم والمنهج المعلوم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وأصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم الذين خصهم الله عز وجل بثناء عاطر ومدح سائر وهو تعديل من رب العالمين وتوثيق من أحكم الحاكمين وكفى بها شهادة وتزكية.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

---

(١) (ص٢٥).

وعلى ذلك:

فلا يجوز لمسلم أن يظن أن أصحاب النبي ﷺ لم يكفونا شيئاً وبقيت أمور لم يكفونا إياها، قال إمام أهل السنة في وقته أبو محمد البربهاري رحمه اللّه في شرح السنة[١].

وأعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعاً مصدقاً مسلِّما فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد صلى ﷺ فقد ضل.

قلت:

وما أحسن وأجمل كلام الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في الثناء على أصحاب النبي ﷺ لأن الله عز وجل هو الذي اختارهم لصحبة نبيه قال رحمه الله تعالى[٢]:

فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه: فَرضيهم له صحابةً وجعلهم لنا أعلاماً وقدوةً فحفظوا عنه ﷺ، **ما بلَّغهم عن الله عز وجل وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدَّبَ، ووعوه وأتقنوه فَفَقِهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه** ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وَتَلُّقُفهم منه واستنباطهم عنه فشرفهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به مِنْ وضعْه إياهم موضع القدوة فكانوا عدول الأُمة وأئمة الهدى

(١) (ص٢٠).
(٢) «الجرح والتعديل» (١/ ٨٧).

وحجج الدين ونَقلة الكتاب والسنة وندب اللّه عز وجل إلى التمسك بهديهم والسير على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم» اهـ.

ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام بديع في فضل القرون الثلاثة الخيرية فإنَّ الخير عند أصحاب النبي ﷺ فيجب علينا الاقتداء والأخذ عنهم رضي الله عنهم .

قال رحمه الله[١]:

وهذه الخيرية دين وعلم وفضل فلا يجوز أن تخلو هذه العصور الفاضلة من الحق والصواب حتى يكون فيمن بعدهم من أهل القرون المفضولة من يعلمه لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيراً من القرون الفاضلة ولو في هذا الوجه، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير».

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى:

ابن آدم لا تَغْتر بقول مَنْ يقول: المرء مع من أحبَّ، إنه مَنْ أحب قوماً اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم وتأخذ بهديهم وتقتدي بسُنتهم وتُصبح وتُمسي وأنت على منهاجهم حريصاً على أن تكون منهم فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم وإنْ كنت مقصراً في العمل، فإنما ملاك الأمر أنْ تكون على استقامة أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المُرْدية يُحبون أنبياءهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار، نعوذ بالله من ذلك» ذكره الحافظ الإمام الرباني ابن رجب الحنبلي في كتابه «اسْتنشاق نسيم الأُنس»[٢].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٣٦).
(٢) (ص٨٧).

وقال العلامة ابن الوزير محمد بن إبراهيم اليماني[١].

وهو ينقل كلام الغزالي في الجام العوام عن علم الكلام.

وقد ذكر أن الصحابة «السلف أعرف وأفهم الناس في نصوص الوحيين الكريمين».

الأصل الثالث:

وأن أعرف الناس بمعاني كلامه وأحراهم بالوقوف على كنهه، ودرْك أسراره هم الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروا وصحبوه بل عاصروه آناء الليل والنهار **مستمرِّيْنَ لفهم معاني كلامه وتلقيه بالعمل به أولًا، والنقل إلى من بعدهم ثانياً والتقرب إلى الله تعالى بسماعه وفهمه وحفظه ونشره.**

فليت شعري أيها المتكلمون تتهمون رسول الله ﷺ بإخْفائه وكتمانه عنهم حاشا منصب النبوة عن ذلك أم تتهمون أولئك الأكابر في فهم كلامه وإدراك مقاصده، أو تتهمونهم في إخفائه بسِتْره بعد الفهم أو تتهمونهم في مُعاندتِهِ من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بتفُّهمِهِ وتكليفه، فهذه الأُمور لا يَسع لعاقل ظنها.

الأصل الرابع:

أنهم في طول عَصْرهم إلى آخر أعمارهم ما دَعَوا الخلْق إلى البحث والتفتيش والتنقير[٢] والتأويل والتعرض لمثل هذه الأُمور، بل بالغوا في زجر

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٣/ ٣٧٤).

(٢) وما أجمل ما قاله الحافظ ابن بطة في كتابه الإيمان (١/ ٤١٩) عن ذم التنقير والتفتيش والاستقصاء فيما خفي علينا فإن هذا من علامات الخذلان.

عن يحيى بن معاذ أنه قال: إنَّ ربنا تعالى أبدا شيئاً وأخفى أشياء وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدا وتركوا ما أخفى وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفي فهتكوا فهلكوا فأداهم =

من خاض فيه وسأل عنه على سبيل ما سنذكره عنهم، فلو كان ذلك من الدِّين

= التركُ لأمره إلى حدود الضلال فكانوا زائغين» اهـ.
قلت: وكل من اتبع هواه في تتبع ما أمرنا اللّه عز وجل ورسوله ﷺ بالسكوت عنه وتفويض الأمور للّه جل وعلا.
لا ريب أنه سيندم ويتحسَّر على هذا الزيغ والانحراف عن عقيدة السلف وسيرجع بصره خاسئاً وهو كليل حسير.
أو إذا لج عتواً وخاض بما نُهي عنه سيضل حتماً ويتيه في أودية الباطل والغلو.
قلت:
انظر وتأمل كلام الجويني الذي خالف مذهب السلف في إثبات صفات الباري جل وعلا.
وأقحم نفسه في التأويل الفاسد.
قال رحمه الله تعالى:
لقد خضتُ البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إنْ لم يتداركني ربي برحمةٍ منه فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي.
وقال أبو الفتح محمد بن أَبي القاسم الشهرستاني في أول كتابه نهاية الأقدام.
واصفاًحال أهل الكلام والفلسفة الذين خالفوا فهم السلف.
قال في كتابه «نهاية الأقْدام»:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها ... وسيرّتُ طرْفي بين تلك المعالم
فلم أَرَ إلا واضعاً كَفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارِعاً سِنَّ نادمِ

قلت:
وعارضه الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني وبين في أبياته الرائعة أنَّه لو كان مُتَبِّعاً لفهم السلف وخاضعاً ومستسلماً لعلمهم لم يحترْ ويندم:

لعلك أهملت الطواف بمعهد ... الرسول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعاً سِنَّ نادم

وقال الفخر الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر الطبرستاني في كتابه: أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سَعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بَحْثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيْل وقالوا

ثم قال وهو يذم الفهم الذي كان عليه، فهم الخلف من الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة =

أو من مدارك علوم الدين لأقبلوا عليه ليلًا نهاراً، ودعوا إليه أولادهم وأهليهم ولشمروا عن ساق الجَدِّ في تأسيس أصوله، وشرح فروعه وقوانينه تشميراً أبلغ من تشميرهم في تمهيد قواعد الفرائض.

والمواريث وتمثيلهم لذلك وسؤال بعضهم المباهلة فيها وتقاسمهم وتناظرهم عليها ونذكر ها هنا تمثيلَ علي وزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا للجد والإخوة، وقولهم في الكلالة وقولهم في الجَدِّ إلى سائر ذلك فيعلم بالضرورة من هذه الأُصول أن الحق ما قالوه والصواب ما أرادوه لاسِيَّما وقد أثنى عليهم صلوات الله عليه فقال:

خير الناس[1] قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[2].

= لصفات الله جل وعلا:

«لقد تأملت الطُرُقَ الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾

وأقرأ في:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾

فمن جرَّب مثل تجربتي عَرَفَ مثل مَعْرفتي.

(١) وقلت من أبيات لي:

ومَن سَلَكَ السبيلَ سبيلَ قَوْمٍ	هُمُ السَّلَفُ الأوائلُ فَهْوَ سالِمْ
وذلك بالرُّجوعِ إلى هُدَاهُمْ	على فَهْمِ الصحابةِ والأَكَارِمْ
ونَبْذِهِ ما يُخالِفُهُمْ كَفَهْمِ الرْ	رَوَافِضِ والخوارجِ والأَظَالِمْ

(٢) رواه البخاري في الشهادات رقم (٢٦٥١) (٥/ ٢٥٨) وفي الفضائل أيضاً (رقم ٣٦٥٠) والأيمان والنذور (رقم ٦٦٩٥) ومسلم (٤/ ١٩٦٤) والترمذي في الفتن (رقم ٢٢٢١) (٤/ ٤٣٣) والنسائي (رقم ٣٨١٨) في الأيمان والنذور (٧/ ٢٣) وأحمد (١/ ٤١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٦٠) وابن حبان رقم (٧٢٢٩) والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٥٨١) (١٨/ ٢٣٧) والخطيب في تاريخ بغداد والشاشي في مسنده (رقم ٧٩٣) والطحاوي في مشكل الآثار رقم (٢٤٦٥) (٦/ ٢٥٩) والطيالسي رقم (٨٥٢).

البرهان الثاني وهو التفصيلي:

وهو أنْ نقول: ادَّعينا أن الحق هو مذهب السلف وأن مذهبهم هو توظيف الوظائف السبع وقد ذكرنا بُرهانَ كُلٍّ وظيفة منها، فمن خالف فليت شعري أيخالف في قولنا الأول:

١- إنه يجب تقديس الله وتنزيهه عن المخلوقات ومشابهتها.

أم في قولنا الثاني:

٢- إنه يجب عليه التصديق والإيمان بما قاله الرسول ﷺ على المعنى الذي أراده أما في قولنا الثالث:

٣- إنه يجب عليه الاعترافُ بالعجز عن كُنْهِ ذات الله تعالى وصفاته؟ أم في قولنا الرابع.

٤- إنه يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما وراء طاقته؟ أم في قولنا الخامس.

٥- إنه يجبُ عليه إمساك اللسان عن تغْبير الظواهر بالزيادة والنقصان؟ أم في قولنا السادس.

٦- إنه يجب عليه كفُّ القلب عن التفكُّر فيه مع عجزه عنه، وقد قال لهم عليه السلام: تفكروا في خَلْق الله ولا تفكروا في ذات الله[1].

---

(١) حديث تفكروا. . . حسنه شيخنا حافظ الوقت حسنة الأيام وأورده في الصحيحة (١٧٨٨) المجلد الرابع وكذلك في صحيح الجامع (٢٩٧٥) و(٢٩٧٦) والحديث رواه أبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الأوسط وابن عدي والبيهقي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٩٩ - ٤٠٠) في كلامه عن آية الاستواء: وأما الآية:

فقد استفاض أنه سئل عنها مالك بن أنس وقال له السائل: الرحمن على العرش استوى. كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم والكيف =

قلت:

ومن الذين استحسنوا كلام أبي حامد الغزالي العلامة السلفي الأصولي البارع شيخ مشايخنا محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى حيث ذكر في كتابه المعطار: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» قال رحمه الله تعالى[١]:

وكذلك أبو حامد الغزالي كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ثم رجع عن ذلك وبين أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف قال أبو حامد الغزالي في كتابه: الجام العوام عن علم الكلام.

= مجهول والإيمان واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به فأُخرج.

وجميع أئمة الدين كابن الماجشون، والأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك، من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصلٍ لنا لأن العلم بكيفية الصفة فرعٌ على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تُعلم كيفيتهُ امُتنع أن تُعلم كيفية الصفة.

ومتى جُنِّبَ المؤمن طريق التحريف والتعطيل، وطريق التمثيل: سلك سواء السبيل، فإنه قد علم بالكتاب والسنة والإجماع: ما يعلم بالعقل أيضاً أن اللَّه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله فلا يجوز أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين؛ لأنه متصف بغاية الكمال منزه عن جميع النقائص فإنه سبحانه غني ما سواه وكل ما سواه مفتقرٌ إليه.

ومن زعم أن القرآن دَلَّ على ذلك فقد كذب على القرآن، ليس في كلام اللَّه سبحانه ما يوجب وصفه بذلك، بل قد يؤْتى الإنسان من سوء فهمه فيفهم من كلام اللَّه ورسوله معاني يجب تنزيهُ اللَّه سبحانه عنها ولكن حال المبطل مع كلام اللَّه ورسوله كما قيل:

وكم عائب قولًا صحيحاً ... وآفتُهُ من الفهم السقيم

ويجب على أهل العلم أنْ يُبيِّنوا نفي ما يظنه الجهال من النقص في صفات اللَّه تعالى وأنْ يُبيِّنوا صون كلام اللَّه ورسوله عن الدلالة على شيء من ذلك، وأن القرآن بيان وهدىً وشفاء، وإن ضل به مَنْ ضَلَّ فإنه من جهة تفريطه كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

(١) (٧/ ٤٧٣).

اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء عند أهل البصائر، هو مذهب السلف هنا أعني الصحابة والتابعين ثم قال:

ان البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسليم أربعة أصول عند كل عاقل:

الأول من تلك الأصول المذكورة:

أن النبي ﷺ هو أعرْف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم.

٢- الأصل الثاني:

أنه بلغ كل ما أُوحى إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم ولم يَكتم منه شيئاً.

والأصل الثالث:

إنَّ أعرف الناس بمعاني كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضروا التنزيل وعرفوا التأويل.

الأصل الرابع:

أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ليلًا ونهاراً ودعوا إليه أولادهم وأهلهم. ثم قال الغزالي:

وبهذه الأصول الأربعة المسلَّمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه. اهـ. باختصار.

ثم قال العلامة القرآني الشنقيطي رحمه الله تعالى: ولا شك أن استدلال الغزالي هذا لأن مذهب السلف هو الحق استدلال لا شك في صحته ووضوح وجه الدليل فيه» اهـ.



(كلام شيخ الإسلام في فهم السلف)

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو يُبِّين ويوضح أن صحابة النبي ﷺ لهم فهم في كتاب الله جلا وعلا يخفى على كثير من المتأخرين بما امتازوا من أمور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأُمورٍ من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين، فإنهم شهدوا الرسول ﷺ والتنزيل وَعاينوُا الرسول ﷺ وعَرفُوا مِنْ أقواله وأفعاله وأحواله مما يسْتدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس. اهـ.

قلت:

وانظر إلى حرص السلف في تلقي العلم من أصحاب النبي ﷺ.

عن محمد بن سيرين قال:

سألتُ عَبِيدَة السلماني عن آية من كتاب الله عز وجل فقال:

عليك بتقوى الله والسداد فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٠٠).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠١٤٨) (١٠/ ٥١١) والطبري في التفسير (١/ ٨٦/ ٩٧)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٣٧) وسعيد بن منصور في السنن (٤٤) (١/ ١٨٥).

قلت:

ولعل مراد عَبيدة رحمه الله تعالى الحرص في أخذ وفهم القرآن عن السلف.

وما أروع كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وأبدعه وأجزله في أن أفضل الخلق منزلة هم النبيون والمرسلون والذي يأتي على إثْرهم هم أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة، فالله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته وتعريف أفعاله وصفاته وأحكامه ومراضيه ومساخطه وثوابه وعقابه وخصهم، واختصهم بتفضيله، وارتضاهم لرسالته إلى عباده، وجعلهم أزكى العالمين وأشرفهم أخلاقاً، وأكملهم علوماً وأعمالًا، وأحسنهم خلقة، وأعظمهم محبة وقبولًا في قلوب الناس، وبرأهم من كل وصم وعيب وكل خُلُق دنئ **جعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة خلافتهم ونيابتهم في زمنهم، فإنهم يخلفونهم على منهاجهم وطريقهم من نصيحتهم للأمة، وإرشادهم الضال، وتعليمهم الجاهل، ونصرهم المظلوم، وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف وفعله، ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين والغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين.**

فهذه حالُ اتباع المرسلين وورثة النبيين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني على بصيرة وأنا أدعو إلى الله، أو المعنى أدعو إلى الله على بصيرة.

والقولان متلازمان **فإنه لا يكون من أتباعه حقاً إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كانَ متبوعه يفعلُ ﷺ فهؤلاء خلفاء الرسل حقاً وورثتهم دون**

النَّاس، وهم أولو العلم الذينَ قاموا بما جادَ به علماً وعملًا وهدايةً وإرشاداً وصبراً وجهاداً، هؤلاءَ هم الصدِّيقون وهم أفضَلُ أتباعِ الأنبياء ورأسهم وإمامهُم الأكبرُ أبو بكرٍ رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩]، فذكر مراتب السعداء وهي أربعة، وبدأ بأعلاهم مرتبة ثم الذين يلونهم إلى آخر المراتب، وهؤلاء الأربعة هم أهلُ الجنة الذين هم أهلها- جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. اهـ

قلت:

ما أحسن هذا التحقيق فإن أتباع النبي ﷺ السائرون على منهاج السلف الداعون إلى هديه وسنته هم الذين عصمهم الله تعالى وصانهم لأنهم هم الذين لهم الفهم الصحيح لمراد الله سبحانه ومراد نبيه ﷺ وهذه عقيدة اجتمعت عليها الآراء وأطبقت عليها الألسنة ومالت إليها الأفئدة فلله در هذا الفهم الذي يتوقد أصالة ويتدفق جزالةً.

عن عباد بن العوام قال:

قدم علينا شريك بن عبداللّه منذ نحو خمسين سنة قال:

فقلت له أيا أبا عبداللّه إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث قال:

فحدَّثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا. وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمَّن أخذوا؟![1].

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٤٩) (٢/ ٣٧٤).

وفي العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي رحمه الله تعالى:

وقال شريك رحمه الله تعالى:

وما ينكرون؟! إنما جاء بهذه من جاء بالصلاة والسنن عن رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[١]:

فإن الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس وهم تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة. **ففهموا من** مقاصده ﷺ **وعاينوا** من أفعاله **وسمعوا منه شفاها** ما لم يحصل لمن بعدهم. وكذلك كان يستفيد بعضهم من بعض ما لم يحصل لمن بعدهم، وهم قد فارقوا جميع أهل الأرض وعادوه. وهجروا جميع الطوائف وأديانهم، وجاهدوهم بأنفسهم وأموالهم، قال ﷺ في الحديث الصحيح[٢]: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». وهذا قاله لخالد بن الوليد لما تشاجر هو وعبد الرحمن بن عوف. لأن عبدالرحمن بن عوف كان من السابقين الأولين، وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وهو فتح الحديبية وخالد هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة أسلموا في مدة الهدنة بعد الحديبية وقبل فتح مكة فكانوا من المهاجرين التابعين، لا من المهاجرين الأولين، وأما الذين أسلموا عام فتح مكة فليسوا بمهاجرين فانه لا هجرة بعد الفتح، بل كان الذين أسلموا من أهل مكة يقال لهم طلقاء النبي ﷺ أطلقهم بعد الاستيلاء عليهم عنوةً كما يطلق الأسير. والذين بايعوه تحت الشجرة هم ومن كان مهاجرة الحبشة هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وفي الصحيح عن جابر بن

---

(١) «مجموع الفتاوى».

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٧/ ٢١) كتاب فضائل الصحابة رقم (٣٦٧٣) ومسلم (النووي ١٦/ ٩٢) كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة.

عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الحديبية[1]: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفا وأربعمائة.

ولهذا لم يطمع الشيطان أن ينال منهم من الإضلال والإغواء ما ناله ممن بعدهم، فلم يكن فيهم من يتعمَّد الكذب على النبي ﷺ، وإن كان له أعمال غير ذلك قد تنكر عليه، ولم يكن فيهم أحد من أهل البدع المشهورة: كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة والجهمية، بل كان هؤلاء إنما حدثوا فيمن بعدهم. ولم يكن فيهم مَنْ طمع الشيطان أن يتراءى له في صورة بشر، ويقول: أنا الخضر أو أنا إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، أو المسيح، أو أن يكلمه عند قبر حتى يظن أن صاحب القبر كلمه، بل هذا إنما ناله فيمن بعدهم، وناله أيضاً من النصارى حيث أتاهم بعد الصلب وقال: إنه هو المسيح- وهذه مواضع المسامير- ولا يقول: أنا شيطان، فان الشيطان لا يكون جسداً- أو كما قال. وهذا هو الذي اعتمد عليه النصارى في أنه صلب، لا في مشاهدته، فان أحداً منهم لم يشاهد الصلب، ولهذا جعله الله من ذنوبهم وإن يكونوا صلبوه. لكنهم قصدوا هذا الفعل وفرحوا به، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٦، ١٥٧] وبسط هذا له موضوع آخر.

والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم، لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا وسمعوا أموراً من الخوارق فظنوها من جنس آيات

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ومسلم (٣/ ١٤٨٤).

الأنبياء والصالحين وكانت من أفعال الشياطين. كما أضل النصارى وأهل البدع بمثل ذلك. فهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم. وكذلك يتمكسون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية فيسمع ويرى أموراً فيظن أنه رحماني وإنما هو شيطاني، ويدعون البين الحق الذي لا إجمال فيه. وكذلك لم يطمع الشيطان أن يتمثل في صورته ويغيث من استغاث به. أو أن يحمل إليهم صوتاً يشبه صوته. لأن الذين رأوه علموا أن هذا شرك لا يحل. ولهذا أيضاً لم يطمع فيهم أن يقول أحد منهم لأصحابه: إذا كانت لكم حاجة فتعالوا إلى قبري، واستغيثوا بي، ولا في محياه ولا في مماته كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين. ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم ويقول: أنا من رجال الغيب، أو من الأوتاد الأربعة، أو السبعة، أو الأربعين. أو يقول له: أنت منهم. إذ كان هذا عندهم من الباطل الذي لا حقيقة له ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم فيقول: أنا رسول الله أو يخاطبه عند القبر، كما وقع لكثير ممن بعدهم عند قبره وقبر غيره وعند غير القبور.

كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب، يرون بعد الموت من يعظمونه من شيوخهم.

فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم. والنصارى يرون من يعظمونه، من الأنبياء والحواريين وغيرهم، والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه: إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه. وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم. ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت. وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه. ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد. وهذا وأمثاله. أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً. وقد حدثني بما وقع له ذلك، وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا

الموضوع بذكرهم. وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين لكن كثير من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان. ومن كان أقل علماً له من يعلم أنه مخالف للشريعة خلافاً ظاهراً ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيداً فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه، فإن هذا فعل الشياطين، وهو أن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر.

ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة: إن الخضر أتاه. ولا موسى ولا عيسى، ولا أنه سمع رد النبي ﷺ. وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر ولم يقل قط انه يسمع الرد. وكذلك التابعون وتابعوهم. وإنما هذا من بعض المتأخرين.

وكذلك لم يكن أحد من الصحابة - رضوان الله عليهم- يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم. مع أنهم أخص الناس به ﷺ، حتى ابنته فاطمة- رضي الله عنها - لم يطمع الشيطان أن يقول لها: اذهبي إلى قبره فسليه هل يورث أم لا يورث. كما أنهم أيضاً لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم: اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا. ولا قال: اطلبوا منه أن يَسْتنصِر لكم. ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقي[1] لهم وأن يستنصر لهم، فلم يطمع

(١) قلت: وهذا من أعظم الأدلة وأقوى البيِّنات على الاحتجاج بفهم السلف وأن الذي فهموه هو الحق والصواب جزماً فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول بعد موت النبي ﷺ في مسألة تحريم التوسل وطلب قضاء الحاجات من الأموات فهذا شرك باللّه عز وجل، قال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبيِّنا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبيِّنا فاسْقنا قال: فيسقون».
أخرجه البخاري كتاب الاستسقاء (١٠١٠) وفضائل الصحابة (٧/ ٧٧) (٣٧١٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٨) وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٨ - ٢٩).

الشيطان فيهم بعد موته ﷺ أن يطلبوا منه ذلك. ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة إنما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

فهذا الذي يجب أن يفهمه كل مسلم فعلى كل مسلم أن لا يسأل رسول اللّه ﷺ قضاء الحاجات كنزول الغيث **وشفاء المرضى** ونحو ذلك لأن السلف وهم الصحابة رضي الله عنهم ما فعلوه فليسعنا ما وسعهم.

وكذلك لم يطمع الشيطان أن يطير بأحدهم في الهواء، ولا أن يقطع به الأرض البعيدة في مدة قريبة. كما يقع مثل هذا لكثير من المتأخرين، لأن الأسفار التي كانوا يسافرونها كانت طاعات كسفر الحج والعمرة والجهاد، وهذا يثابون على كل خطوة يخطونها فيه، وكلما بعدت المسافة كان الأجر أعظم: كالذي يخرج من بيته الى المسجد فخطواته[(١)] إحداها ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة. فلم يمكن الشيطان أن يفوتهم ذلك الأجر بأن يحملهم في الهواء أو يؤزهم في الأرض أزّاً حتى يقطعوا المسافة البعيدة بسرعة. وقد علموا أن النبي ﷺ إنما أسرى به الله عز وجل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى. وكان هذا من خصائصه، فليس لمن بعده مثل هذا المعراج، ولكن الشيطان يخيل إليه معاريج شيطانية كما خيلها لجماعة من المتأخرين.

وأما قطع النهر الكبير بالسير على الماء فهذا يحتاج إليه المؤمنون أحياناً

---

(١) يُشير شيخ الإسلام رحمه الله إلى حديث «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت اللّه ليقضي فريضة من فراضه كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة» أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٠رقم ٢٨٢) والنسائي (٧٠٥) وأحمد (٢/ ٣٩١) والحاكم (١/ ٢١٧) والبيهقي (٣/ ٦٢) وأبو عوانة في مستخرجه (١/ ٣٩٠).

مثل أن يمكنهم العبور إلى العدو وتكميل الجهاد إلا بذلك، فلهذا كان الله يكرم من احتاج إلى ذلك من الصحابة والتابعين بمثل ذلك، كما أكرم به العلاء[١] بن الحضرمي وأصحابه وأبا مسلم الخولاني وأصحابه« وبسط هذا له موضع آخر غير هذا الكتاب.

لكن المقصود أن يعرف أن الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء. فما ظهر فيمن بعدهم مما يظن أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فإنها من الشيطان، وهي نقيصة لا فضيلة، سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات أو من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ : من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم[٢].

فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أن الصحابة رضوان الله عليهم تركوا البدع المتعلقة بالقبور كقبره المكرم وقبر غيره، لنهيه ﷺ لهم عن ذلك، ولئلا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين اتخذوا قبور الأنبياء أوثاناً وإن كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر فعل بل كانوا في حياته يسلمون

---

(١) صحابي جليل اسمه عبد اللّه بن عماد بن أكبر بن ربيعة استعمله النبي ﷺ على البحرين وأقره أبو بكر رضي الله عنه كان يقال: إنه مجابُ الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها، وذلك مشهور في كتب الفتوح، هذا كلام الحافظ ابن حجر أبو الفضل رحمه الله في الإصابة في تميز الصحابة رقم الترجمة (٥٦٣٦) (٧/ ٣٨).

(٢) تقدم تخريجه.

عليه ثم يخرجون من المسجد لا يأتون إليه عند كل صلاة.

وإذا جاء أحدهم يسلم عليه رد عليه النبي ﷺ. وكذلك من يسلم عليه عند قبره رد عليه السلام وكانوا يدخلون على عائشة فكانوا يسلمون عليه كما كانوا يسلمون عليه في حياته، ويقول أحدهم: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته. وقد جاء هذا علماً في جميع قبور المؤمنين، فما من رجل يمر بقبر[١] الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد عليه روحه عليه حتى يرد عليه. فإذا كان رد السلام موجوداً في عموم المؤمنين فهو في أفضل الخلق أولى. وإذا سلم المسلم عليه في صلاته فإنه وإن لم يرد عليه لكن الله يسلم عليه عشراً. كما جاء في الحديث «من سلم علي مرة سلم الله عليه عشراً»[٢].

قلت:

ومن بديع القول وجزالة التحقيق ما قاله الحافظ أبو إسحاق الشاطبي.

«بيان الصحابة حجةٌ فيما أجمعوا عليه».

وهم رضي الله عنهم إذا قالوا مسألة فلا يخلو هذا من أمرين:

إما أن يجمعوا على هذه المسألة.

وإما لا يجمعوا عليها.

---

(١) حديث ضعيف جداً: انظر رسالتي التبصرة رقم ٥٥ وهو في تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ٦٤٦) رقم الترجمة (٣١٧٥) فيه عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم قال عنه يحيى بن معين: ضعيف وقال ابن سعد كان ضعيف جداً وقال الحافظ بن رجب الحنبلي عن هذا الحديث: إنه ضعيف بل منكر.

(٢) هذا اللفظ «سلم» لم يرد في الحديث الصحيح وإنما الصحيح من صلى علي واحدة صلى اللّه عليه عشر صلوات وحطَّ عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد والنسائي والحاكم وله ألفاظ كثيرة.

قال الشاطبي رحمه الله تعالى عن الإجماع.

فلا إشكال في صحته كإجماعهم على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]. اهـ

ورحم الله تعالى الإمام أبا محمد الحسن البربهاري[1].

وهو يُبيِّن أن الحق ما اجتمع عليه أصحاب الرسول ﷺ.

قال: «والحق ما جاء من عند الله عز وجل. والسنة: سنة رسول الله ﷺ والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة، فَلَجَ عَلى أهل البدعة كُلِّهم واسْتراح بَدَنُهُ، وسلم له دينه إنْ شاء الله، لأن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي»[2]. اهـ

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تقدير وتعظيم فهم السلف لكلام الله تعالى وفضل فهم الصحابة لكلام الله عز وجل وفهمهم لكلام الرسول ﷺ وأنهم الحجة وأنهم لا يقوم أحد مقامهم ولا يُلحق أثرهم ولا يُبلغ شأوهم ولا يُسَدُّ مَسَدُّهم.

قال شيخ الإسلام لمن أراد أن يفسر القرآن[3]:

---

(١) السنة (ص٩٧) (رقم ١٠٦، ١٠٧).

(٢) حديث عظيم جليل صحيح لغيره: رواه أبو داود (رقم ٤٥٩٧١) في كتاب السنة (٤/ ١٩٨) وابن ماجة في الفتن رقم (٣٩٩٣) (٢/ ١٣٢٣) وأحمد (٤/ ١٠٢) والدارمي (٢٥٢١/ ١/ ١٥٨) والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٨٥٤) (١٩/ ٣٧٦) وفي مسند الشاميين له (١٠٠٥) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٦٨) (١/ ٣٧١) والآجري في الشريعة (١/ ١٣٢)وابن بطة في الإبانة رقم (٢٦٨) والحاكم (١/ ١٢٨) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣١) وأبو يعلى في المسند رقم (٣٩٣٨) (٧/ ٣٢).

(٣) «الإيمان» (ص٨٩).

«الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، **وما كان الصحابة يفهمون عن الرسول ﷺ** عن سماع تلك الألفاظ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك وأيضاً فقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا وبين معناه للمخاطبين ولم يُحوجهم إلى شيء آخر» اهـ.

قلت:

وانظر إليه رحمه الله تعالى وهو يُبيِّن عظم تقدير فهم السلف كلام الله تعالى وتشريعاته جل وعلا وأحاديث النبي ﷺ ويجب علينا أن نفهم كلام النبي ﷺ دون الجنوح إلى التحريف والتأويل وأن لا نُحمِّل كلام الله عز وجل وكلام نبيه ﷺ على محامل وأقوال باردة وتأويلات غثة.

قال رحمه الله تعالى:

«لا يجوز أن يُحمَل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس، وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه».

ويقول عن الفرق الضالة كالمعتزلة والمرجئة والرافضة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ولهذا نجدهم لايعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم.

قال رحمه الله تعالى عن هؤلاء أصحاب الفرق الضالة[١] أنهم «لا يعلمون معاني القرآن فضلًا عن الحديث بل كثير منهم لا يحفظون أصلًا فمن لا يحفظ القرآن لايعلم معانيه ولا يعرف الحديث ولا معانيه من أين يكون عارفاً

(١) «نقض المنطق» (ص١٠٧).

بالحقائق المأخوذة عن الرسول وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف[(١)].

قال العالم الرباني وشيخ الإسلام الثاني ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية وهو يبين ضلال المؤولة وانحراف المعطلة[(٢)]:

أُمِرَ اليهودُ بأن يقولوا حِطَّةٌ ... فَأَبَوْا وقالوا حِنْطَةٌ لهوان
وكذلك الجهميُّ قيل استوى ... فأبى وزاد الحرْفَ للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله ... لغةً وعقلًا ما هما سِيَّان
عشرون وجْهاً تُبطل التأويل ... باستولى فلا تخرجُ عن القرآن
قد أُفْردتْ بمُصَّنفٍ هو عندنا ... تصنيفُ حبر عالم ربَّاني
هي في الصواعق إنْ تُردْ تَحْقيقها ... لا تختفي إلا على العُميان
نونُ اليهود ولام جَهْمي ... هما في وحْي ربِّ العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطَّل وصَفَهُ ... ويهودُ وصفوه بالنقصان
فهما إذاً في نفْيِهِم لصفاتِهِ ... العليا كما بيَّنتُهُ أخوان

قال الإمام أبو محمد البَرْبَهاري[(٣)]: «والأساسُ الذي تُبنى عليه الجماعةُ هم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم الله أجمعين- وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم، فقد ضَلَّ وابتدع، كل بدعة ضلالة والضلالةُ وأهلهُا في النار»اهـ.

قلت:

هؤلاء صحابة الرسول ﷺ هم الجماعة التي أمرنا الله عز وجل أن نسلك

---

(١) انظر «نقض المنطق» (ص٨٢).
(٢) النونية (ص١٢١).
(٣) «شرح السنة» (ص٦٧).

سبيلهم وننضوي تحت لوائهم ونتبع سنتهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ الآية ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو يقرِّر أن أكمل القرون قرن الصحابة وأكمل الطوائف والمذاهب من اتبع هدى الصحابة.

قال رحمه الله تعالى:

وكما أنه لم يكن في القرون أكملُ من قرن الصحابة، فليس في الطواف بعدهم، أكملُ من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع: كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولى بالاجتماع والهدى والاعتصام بحبل وأبعد عن التفرُّق والاختلاف، وكل من بَعُدَ عن ذلك كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة.

فليس الضلالُ والغيُّ في طائفة من طوائف الأمة أكثرُ منه في الرافضة، كما أن الهدى والرشاد والرحمة ليس في طائفة من طوائف الأمة أكثر منه في أهل الحديث والسنة المحضة الذين لا ينتصرون إلا لرسول الله ﷺ فإنهم خاصَّتُهُ، وهو إمامهم المطلق الذي لا يغضبون لقول غيرهم إلا إذا اتبَّع قولَهُ، ومقصودهم نصرُ الله ورسوله ﷺ»اهـ[١].

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى موصياً بالصبر والتمسك والوقوف حيث وقف القوم.

قال[٢]: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم،

(١) راجع «منهاج السنة» (٣/ ٩٦٨).
(٢) إسناده صحيح: أخرجه اللالكائي في كتابه المعطار شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٤ - ١٥٥) والحجة في بيان المحجة وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٨ - ٩).

لست آمن إلا أن يدفع الله شر هذا البدعة من أن يصيروا إخواناً بعد تواد إلى تفرق في دينهم وتباغض، ولو كان خيراً ما خُصصتم به دون أسلافكم وإنه لم يُدَّخر عنهم خيرٌ خُبِّئ لكم دونهم لفضل عندكم وهم أصحاب محمد، ورضي عنهم اختارهم الله له وبعثه فيهم ووصفهم بما وصفهم به فقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾» الآية. اهـ

قلت:

ورضي الله تعالى عن عبد اللّه بن مسعود[1] عندما قال: «عليكم بالسمت الأول فإنا اليوم على الفطرة».

وقال الأوزاعي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما رأي امرئ وأمر بلغه فيه عن النبي ﷺ إلا اتباعه ولو ولم يكن فيه عن رسول الله، وقال فيه أصحابه من بعده كانوا أولى فيه بالحق منا لأن الله تعالى أثنى على من بعدهم باتِّباعهم إياهم فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ فقلتم أنتم لا بل نعرضها على رأينا في الكتاب فما وافقه منه صدقناه، وما خالفه تركناه، وتلك غاية كل مُحْدِثٍ في الإسلام يُرد ما خالف رأيه في السنة» اهـ.

قلت: هكذا كان السلف رحمة الله عليهم يعظمون الاتباع للنبي ﷺ واتباع آثار صحابته ومن تبعهم بإحسان فلا يكون المرء محسناً حتى يتبع هدي صحابة الرسول ﷺ ويأخذ عنهم ويخضع لفتاواهم وأقوالهم.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى[3]:

فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة

---

(١) حسن لغيره: أخرجه وكيع في الزهد (رقم ٣١٦) (٢/ ٥٩١) والدارمي في السنة (١/ ٧١).
(٢) رواه عثمان الدارمي في الرد على بشر المريسي ص١٤٦ .
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٦٠٩) .

الداعون لهم في السر والعلانية» اهـ.

وما أجمل كلام الإمام أحمد في الثناء على الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اتباعه لآثار السلف .

عن أبي طالب أحمد المشكاني قال سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي[١] .

كلام الشهرستاني في تمسك السلف بمنهاج المتقدمين

ويوضح الشهرستاني موقف أئمة السلف رحمة الله عليهم عند ظهور المعتزلة وانتشار علم الكلام يُبيِّن تمسك السلف بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والتابعين.

قال الشهرستاني[٢]: إن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا تَوَغُّل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين تمكسوا بمنهاج المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وغيرهما فسلكوا طريق السلامة وقالوا:

نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بل نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يُشبهه شيء من المخلوقات وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره» اهـ.

وبين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن العلوم إنما تؤخذ من الكتاب

(١) رواه أبو إسماعيل عبدالله الهروي الأنصاري في ذم الكلام (٣٨٦) وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٢ والبيهقي في مناقب الشافعي ٤٧١ .
(٢) «الملل والنحل» (١/ ١٠٣-١٠٤).

والسنة وعن طريق الرسول ﷺ قال رحمه الله تعالى: إن العلوم الإلهية الدينية سَمْعِيُّها وَعَقْلِيُّهما إنما تؤخذ من الرسول ﷺ.

ويُجعل ما جاء به هو الأول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلًا وأيضاً فإن الأنبياء والرسل إنما بُعثوا بتعريف هذا فهم أعلمُ الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه». اهـ

وبيَّن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن السلف رحمهم الله تعالى قد أخضعوا وطوعوا المفاهيم العقلية لنصوص الوحيين الكريميين ولم يتأثروا بهذه الآراء العقلية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن السلف:

«أنهم طوعوا المفاهيم العقلية لنصوص الكتاب والسنة لإيمانهم الراسخ بأن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم وأنه ما من مسألة من مسائل الدين التي بَعَثَ الله بها رسوله ﷺ إلا وقد جاء بيانها في الكتاب أو السنة وكان للسلف الصالح فيها كلام اهـ.

قلت:

هذا من الأصول العظيمة التي استقرت ورسخت في قلوب وعقيدة أهل السنة والجماعة والأثر.

إفراد صحابة رسول الله ﷺ وسلف الأمة في فهم نصوص الوحيين الكريميين: الكتاب والسنة فالصحابة ﷺ لهم الفهم السابغ والإدراك الصائب.

ويتعين على كل مسلم يتوق ويحرص على مرضاة الله عز وجل ويُخلص في تجْريد الاتِّباع للرسول ﷺ أن يُقيد ويلزم نفسه في الخضوع لفهم السلف كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١٥٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[١]:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولوا العرفان
ما العلمُ نصْبِك للخلافِ سفاهةً ... الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحدُ الصفاتِ لربنا ... في قالب التنزيه والسُّبحان

وانظر إلى دقة فهم وشفوف علم الإمام الزهري رحمه الله تعالى في حفظ آثار الصحابة.

قال صالح بن كيسان:

اجتمعت أنا والزهري، ونحن نطلب العلم فقال: نكتب السنن بكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ثم نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، وقلت أنا: ليس بسنة ولا نكتُبُه قال: فكتبه الزهري ولم أكتبْه فأنجح وضيَّعتُ»[٢].

وما أجمل قول الأئمة الأربعة في تعظيم الرجوع والعودة إلى سنة المصطفى ﷺ.

ولقد أبدع وأجاد:

وقول أعلام الهدى لا يُعملُ ... بقولنا بدون نص يُقبلُ
فيه دليلُ الأخذ بالحديث ... وذاك في القديم والحديث
قال أبو حيفة الإمام ... لا ينبغي لمن له إسلام
أخذاً بأقوالي حتى تُعْرَضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمامُ دار الهجرة ... قال: وقد أشار نحو الحُجرة

---

(١) النونية (ص٢٢٦ ابن تيمية).
(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧٦ (٢٣٢٧) وإسناده صحيح.

كل كلام منه ذو قَبول ومنه مردودٌ سوى الرسول
والشافعي قال: إنْ رأيتمْ قولي مُخالفاً لما رويتُمُ
من الحديث فاضربوا الجدارا بقولي المخالف الأخبار
وأحمدُ قال لهم: لا تكتبوا ما قُلتُهُ، بل أصل ذلك اطلبوا
فاسمع مقالات الهدى الأربعة واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعها لكل ذي تَعَصُّبِ والمنصفون يكتفون بالنبي

قلت:

اتباع سبيل المؤمنين فيه النجاة وفيه العصمة من الوقوع في ذنب ضلالة أو ولوج بدع منكرة أو الانخراط في منهج منحرف وبيل العاقبة بشع الثمرة.

فاحذر مفارقة ومشاقة سبيل المؤمنين وقد نَجَمَ بالشر ناجِمُها وظهر بالمين جادحها.

ولا ريب بأن سبيل المؤمنين هم أصحاب النبي ﷺ لأن الله تعالى قد مدحهم ورضي عنهم جل وعلا وعلم ما في قلوبهم من المحبة لله ورسوله ﷺ والإخلاص والحرص العظيم على سنته والذب عنه ونصرته.

قال العلامة ابن أبي جمرة الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «بهجة النفوس»:

إن المراد بذلك الصحابة والصدر الأول رضي الله عنهم؛ لأنهم هم الذين تَلَقَّوا مواجهة الخطاب بذواتهم السَّنية وشَفَوا بحسن السؤال عما وقع في النفوس من بعض الإشكال، فجاوبهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأحسنَ جواب وبيَّن لهم بأتمَّ تبيان **فسمعوا وفهموا وعملوا وأحسنوا وحفظوا وضبطوا ونقلوا وصدقوا** فلهم الفضل العظيم علينا إذ بِهم وُصِلَ حَبْلنا بحبل سيدنا محمد ﷺ وبحبل مولانا جل جلاله. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن آية المشاقة.

فإن مشاقة الرسول ﷺ، واتباع غير سبيل المؤمنين متلازمان فكل من شاق الرسول ﷺ من بعد ما تبين له الهدى، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول ﷺ من بعد ما تبين له الهدى» اهـ.

قلت:

العجب من بعض أهل الأهواء والبدع إذ لم يحتجوا بفهم أصحاب النبي ﷺ لنصوص الوحيين وينقادوا وينصاعوا لهذا الأمر الذي أطبق عليه التابعون بإحسان لصحابة النبي ﷺ العجب أنه ليس لهم سعة ومُنْتدح في مخالفة أصحاب النبي ﷺ وهل يطيق مسلم ذلك وذلك لأن الله رضي عنهم عندما بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة فقد علم تعالى ما في قلوبهم.

وكانت عدتهم ألفاً وأربعمائة على الراجح وان الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية وهي بيعة الرضوان.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى[1]:

فعلم ما في قلوبهم أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة.

فأنزل السكينة والطمأنينة.

«وأثابهم فتحاً قريباً»

وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليها وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى:

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٩].

---

(١) (٦/ ٣٤١).

ومن وصية الإمام الفقيه العالم بمنهج السلف الأوزاعي رحمه الله تعالى:

وأنا أُوصيك بواحدة، فإنها تَجْلو الشكَّ عنك وتُصيب بالاعتصام بها سبيل الرشد إنْ شاء الله تعالى- تنظر إلى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الأمر فإن كانوا اختلفوا فيه فخذ بما وافقك من أقاويلهم، فإنك حينئذ منه في سعة، وإنْ كانوا اجتمعوا منه على أمر واحد لم يشذذ عنه منهم أحد، فأين المذهب عنهم، فإن الهلكة في خلافهم وأنهم لم يجمعوا على شيء قط فكان الهدى في غيره، وقد أثنى الله عز وجل على أهل القدوة منهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الإمام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«واحذر كل متأول للقرآن على خلاف ما كانوا عليه»[(١)].

ورحم الله تعالى الإمام الشافعي عندما قال: (إعلام الموقعين ١/ ٨٠)

هم فوقنا في كل عام وفقه ودين وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[(٢)].

وما أحسن ما قاله الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب يُنال به علم أو يُدرك ورأيهم خير لنا من رأينا لأنفسنا»:

قد كان أحدهم يَرَى الرأي فينزل القرآن بموافقته.

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً وإيماناً وحكمة

---

(١) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى كتاب القدر (٢/ ٢٥٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥٨).

وعلماً ومعرفة **وفهماً عن الله ورسوله** ونصيحه للأُمة، وقلوبهم على قلب نبيهم ولا وساطة بينهم وبينه وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة غضاً طرياً لم يَشُبْهُ إشكال، ولم يَشُبْهُ خلاف» اهـ.

قلت:

وإذا كان قوم بهذه المنزلة والمكانة

فحريٌّ بنا أن نأتسي بهم ولا نخالفَهم ونخضع لفهمهم

وما أجمل قول عمر رضي الله عنه الآتي وما أجمل الثالثة في مصاحبة وملازمة أقوال السلف فإن كلامهم درر وهديهم وسمتهم عبر.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١)] لولا ثلاث لأحببت أنْ أكون قد لَحِقْتُ بالله لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبهتي في التراب ساجداً أو أُجالس قوماً يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب الثمر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

وكلام عمر رضي الله عنه من أجمع الكلام وأكمله فإنه ملهم مُحدَّث، كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً مثل هؤلاء الثلاث التي ذكرهن فإنه ذكر الصلاة والجهاد والعلم، وهذه الثلاث هي أفضل الأعمال بإجماع الأُمة.

قال أحمد بن حنبل:

أفضل ما تطوع به الإنسان الجهاد.

وقال الشافعي: أفضل ما تطوع به الصلاة.

وقال أبو حنيفة ومالك: العلم.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٢).

والتحقيق:

أن كلًا من الثلاثة لابد له من الآخرين، وقد يكون هذا أفضل في حال، وهذا أفضل في حال، كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يفعلون هذا وهذا كل في موضعِهِ بحسب الحاجة والمصلحة وعمر جمع الثلاث. اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[1]:

كان الصحابة ﷺ أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبُغْضهم للشر لما علموا من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي. اهـ.

قلت:

فيتعين لنا إنْ أردنا السلامة، أنْ نأخذ بفهم الصحابة بحذافيره وبرُمتَّه.

كما كان شأن سلف هذا الأمة التابعين لهم بإحسان.

أخذوا الأمر بقوابله أي بأوائله وبُربَّانه وفورته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[2]:

ومعلومٌ أن كل من سَلَكَ إلى الله عز وجل علماً وعملًا بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأُمة وأئمتها، فلابد أنْ يقع في بدعة قولية أو عملية، فإن السائر إذا سار على غير الطريق المهيع، فلابد أن يسلك بنيات الطريق. اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مبيناً حجية فهم السلف عند قول الله تعالى:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٠١).
(٢) «شرح الأصفهانية» (ص١٢٩).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة وقد قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وقال تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣] فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء فان أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد ﷺ كما ثبت في الصحاح[1] من غير وجه أن النبي ﷺ قال: «خير القرون الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم.

الدين وأعمالهم كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك، فأنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة نزاعهم

(١) كلمة الصحاح هنا غير دقيقة إذا قصد منها غير الصحيحين وهي مقصودة هنا فإن علماء الحديث وجهابذة هذا العلم المتقدمين لم يصطلحوا على هذا القول وإنما عندهم «الصحيحان» البخاري ومسلم «ولا يصح أن نقول عن غيرهما كجامع الترمذي وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجة وغيرهم «الصحيح» والحديث الذي ذكره شيخ الإسلام «خير القرون - لم يصح بهذا اللفظ وإنما الذي صح عند البخاري ومسلم: «خير الناس قرني».

في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم.

قلت: وعلل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن ذلك وبيَّن الحجة في هذا الاقتداء والاتباع.

قال:

وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه، قال تعالى:

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام بديع في فضل القرون الثلاثة الخيرية فان الخير عند أصحاب النبي ﷺ فيجب علينا الاقتداء والأخذ عنهم رضي الله عنهم.

أصول اتباع النبي ﷺ:

قال شيخ الإسلام:

طريقة أهل السنة والجماعة والأثر معرفة أركان الاتباع التي في شريعة الله عز وجل:

وهي الكتاب العزيز والسنة وما كان عليه أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم **فأتباع السلف يفهمون الكتاب والسنة على ما أراده الله عز وجل وبينه وفعله رسول الله ﷺ.**

ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة.

وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقاويلهم وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة[١].

قلت:

والعلم النافع هو الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله جل وعلا وما جاء عن أصحاب النبي ﷺ.

وقد بين ووضح شيخ الإسلام هذا الأمر بأن سماه (النقل المصدق والبحث المحقق).

قال رحمه الله تعالى[٢]:

أن العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ فالشأن في أن نقول علما وهو النقل المصدق والبحث المحقق فان ما سوى ذلك وإن زخرف مثله بعض الناس خزف مزوق وألا فباطل مطلق) اهـ.

وما أروع وأقوى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يقرر أن للصحابي رضي الله عنه مدارك ينفرد فيها.

قال رحمه الله تعالى[٣]:

---

(١) «مجموع الفتاوى» ١٣/ ١٥٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٨).
(٣) إعلام الموقعين.

إن الصحابي إذا قال قولا أو حكم بحكم أو أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها عنا ومدارك نشاركه فيها فأما ما يختص به فيجوز أن يكون سمعه من النبي ﷺ شفاها أو من صحابي آخر عن رسول الله ﷺ فإن ما انفردوا به من العلم عنا أكثر من أن يحاط به فلم يرو كل منهم كل ما سمع وأين ما سمعه الصديق رضي الله عنه والفاروق رضي الله عنه وغيرهما من كبار الصحابة رضي الله عنهم إلى ما رووه؟

فلم يرو عنه صديق الأمة مائة حديث وهو لم يغب عن النبي ﷺ في شيء من مشاهده بل صحبه من حين بعث بل قبل البعث إلى أن توفي وكان أعلم الأمة به.

بقوله وفعله وهديه وسيرته وكذلك أجلة الصحابة روايتهم قليلة جداً بالنسبة إلى ما سمعوه من نبيهم ﷺ وشاهدوه ولو رووا كل ما سمعوه وشاهدوه لزاد على رواية أبي هريرة رضي الله عنه أضعافاً مضاعفة فانه إنما صحبه نحو أربع سنين وقد روى عنه الكثير فقول القائل:

«لو كان عند الصحابي في هذه الواقعة شيء عن النبي ﷺ لذكره».

قول من لم يعرف سيرة القوم وأحوالهم فإنهم كانوا يهابون الرواية عن رسول الله ﷺ يعظمونها ويقللونها خوف الزيادة والنقص ويحدثون بالشيء الذي سمعوه من النبي ﷺ مراراً ولا يصرحون بالسماع ولا يقولون قال رسول الله ﷺ: فتلك الفتوى التي يفتي بها أحدهم لا تخرج عن ستة أوجه:

١- أحدها: أن يكون سمعها من النبي ﷺ.

٢- الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها منه.

٣- أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فهماً خفي علينا.

٤- أن يكون قد اتفق عليها ملؤهم ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي بها وحده.

٥- الخامس: أن يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد، لقرائن حالية اقترنت بالخطاب أو لمجموع أمور فهموها على طول الزمان من رؤية النبي ﷺ ومشاهدة أفعاله وأحواله وسيرته وسماع كلامه والعلم بمقاصده وشهود تنزيل الوحي ومشاهدة تأويله بالفعل فيكون فهم ما لا نفهمه نحن وعلى هذه التقارير الخمسة تكون فتواه حجة يجب اتباعها.

٦- أن يكون فهم ما لم يرده الرسول ﷺ وأخطأ في فهمه والمراد غير ما فهمه وعلى هذا التقدير لا يكون قوله حجة. اهـ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[(١)]: مبيناً في كلمة وجيزة رصينة أن الحق مع الذي يتبع المهاجرين والأنصار.

قال رحمه الله تعالى[(٢)]:

ولم يستوعب الحق إلا من اتبع المهاجرين والأنصار وآمن بما جاء به الرسول ﷺ على وجهه اهـ.

قلت:

المهاجرون والأنصار إنما يتبعون سنة النبي ﷺ كما قال شيخ الإسلام:

«السنة هي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولا وعملًا» اهـ.

قلت:

والذي يرصد أحوال المسلمين في جميع بقاع وأصقاع العالم الإسلامي منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية المباركة إلى يومنا هذا يجد أن أحق الناس

(١) «الفرقان» (ص٨٥).
(٢) «الفتوى الحموية الكبرى» (ص١٠٩).

وأسعد الخلق وأعلم الورى هــو الــذي كان متمسكاً بهدى السلف أهل الأثر.

عن أبي هريرة ﷺ قال: (قيل للنبي ﷺ أي الناس خير؟ قال أنا ومن معي- قال: وقيل له ثم من يا رسول الله؟ قال: الذين على الأثر قيل له: ثم من يا رسول الله قال: فرفضهم)[1].

قلت:

ففي هذا الحديث الثابت نجد أن النبي ﷺ يبين أن الخيرية والفلاح وإصابة الصراط المستقيم إنما هي لأصحابه ولمن كان على الأثر ممن يهتدي ويعظم طريقة السلف وينتسب بحق وصدق إلى هذا المنهج الرباني الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ والتابعون الذين على الأثر.

لأن هذا الحديث العظيم يلتقي مع قوله عز وجل.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولله در الإمام السلفي الحافظ أبي المظفر السمعاني رحمه الله تعالى عندما بين أن مذهب أهل السنة والحديث هو الحق لأن اعتقادهم واحد وفهمهم لنصوص الوحيين في مسائل التوحيد والقدر على طريقة واحدة في جميع مصنفاتهم.

قال رحمه الله تعالى:

---

(١) إسناده جيد رواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٧٨) وفي كتابه الرد على الرافضة (ص١٥)، والكلاباذي في «معاني الأخبار» (ص٧٦).

إنك لو طالعت كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء وإن قل. وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!! اهـ.

قلت:

وما أبدع فهم ابن عباس رضي الله عنهما وما أجمل رده المفحم للخوارج لما ذهب إليهم للمناظرة عندما خالفوا فهم السلف واتبعوا أهواءهم وانحرفوا عن سنة النبي ﷺ **واحتج عليهم ابن عباس** رضي الله عنهما **بفهم أصحاب النبي** ﷺ.

قال رضي الله عنهما: (أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن الكريم **وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أُنزل وليس فيكم منهم أحد** فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فان الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ قلت: وناقشهم رضي الله عنه مناقشة رائعة والزمهم الحجة (فرجع من القوم ألفان وقتل سائر هم على ضلالة)[1] اهـ.

قلت:

واعتمد ابن عباس رضي الله عنهما في فهم النصوص على ما فهمه أصحاب النبي ﷺ ألا ترى أنه قال للخوارج: «أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ» وقال رضي الله عنه

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١٥٠-١٥) على شرط مسلم وإسناده صحيح.
والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٥ - ١٦٧) رقم (٨٥٧٥) وفي خصائص علي بن أبي طالب (رقم ١٩٠) وأحمد في المسند (٣٤٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (١٨٣٤) (٢/ ٩٦٢) والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٢٢ - ٥٢٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٨ - ٣٢٠).

«وليس فيكم منهم أحد».

إذا فالفهم في معرفة النصوص والمعول عليه هو ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وما جاء عنهم من الفهم الصائب والعلم النافع وقد فهموا معاني ما خوطبوا به.

وقد أوضح ما كان عليه الصحابةُ في صفات اللّه عزَّ وجلَّ الشيخ أبو العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفي سنة (٨٤٥هـ) في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٢/٣٥٦)، فقال: «ذِكْرُ الحال في عقائد أهل الإسلام منذ ابتداء الملَّة الإسلامية إلى أن انتشر مذهب الأشعرية: اعلم أنَّ اللّه تعالى لَمَّا بعث من العرب نبيَّه محمداً ﷺ رسولًا إلى الناس جميعاً وصف لهم ربَّهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسَه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه ﷺ الروحُ الأمين، وبما أوحى إليه ربُّه تعالى، فلم يسأله ﷺ أحدٌ من العرب بأسرهم قَرَويُّهم وبَدويُّهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه ﷺ عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحجِّ وغير ذلك مِمَّا للّه فيه سبحانه أمرٌ ونهيٌ وكما سألوه ﷺ عن أحوال القيامة والجنَّة والنار إذ لو سأله إنسانٌ منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنُقل كما نُقلت الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أحكام الحلال والحرام، وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مِمَّا تضمَّنته كتبُ الحديث، معاجمها ومسانيدها وجوامعها، ومَن أمعن النَّظر في دواوين الحديث النَّبوي ووقف على الآثار السلفية، عَلِم أنَّه لَم يَرد قطُّ من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم- أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مِمَّا وصف الربُّ سبحانه به نفسَه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيِّه محمد ﷺ، بل كلُّهم **فهموا** معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، نعم ولا فرَّق أحدٌ منهم بين كونها صفةَ ذات أو صفة

فعل، وإنَّما أثبتوا له تعالى صفات أزليَّة: من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجدال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا- رضي الله عنهم - ما أطلقه اللّه سبحانه على نفسه الكريمة: من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا- رضي الله عنهم - بلا تشبيه، ونزَّهوا من غير تعطيل، ولم يتعرَّض مع ذلك أحدٌ منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدلُّ به على وحدانية اللّه تعالى وعلى إثبات نبوَّة محمد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحدٌ منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة، فمضى عَصْرُ الصحابة رضي الله عنهم على هذا، إلى أن حدث في زمنهم القولُ بالقدر، وأنَّ الأمرَ أنفة، أي: أنَّ اللّه تعالى لم يُقدِّر على خلقه شيئاً مِمّا هم عليه...».

قلت:

ما أبدع هذا التحقيق والكلام العلمي الرصين الذي وضح به المقريزي رحمه الله تعالى فضل أصحاب النبي ﷺ في التسليم لنصوص الوحيين الكريمين والاحتجاج بفهمهم لصفات الله جل وعلا وأنها تمر كما جاءت بلا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل كما هو معروف من الطرق الكلامية والفلسفة.

فالسعيد هو الذي تمسك بهدي السلف ونبذ ما أحدثه الخلف ولو علم الذي تدنس وتلطخ بالمذاهب الرديئة والطرق السقيمة لنبذها وهجرها ولكنه الجهل بمذهب السلف رحمة الله عليهم.

وما أجمل قول إمام أهل السنة والأثر في زمانه[1]، أبي محمد البربهارى رحمه الله:

(١) البربهاري «السنة» (ص٤٢).

وذلك إن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع. اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[١]:

فلابد في الطوائف المنتسبة إلى السنة والجماعة من نوع تنازع لكن لابد فيهم من طائفة تعتصم بالسنة كما أنه لابد فيهم أن يكون بين المسلمين تنازع واختلاف لكنه لا يزال في هذه الأمة طائفة قائمة بالحق لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتى تقوم الساعة اهـ.

وقال العلامة صديق حسن خان[٢] المتوفى (١٣٠٧) شارحاً ومبيناً حديث النبي ﷺ في وصف الفرقة الناجية: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

قال:

دل قيد اليوم المعتبر من شرائع الدين ما كان في زمن النبي ﷺ لأن بعده عليه السلام اختلف الصحابة أيضاً في مواضع ومسائل فالتي تستحق للأخذ والتمسك بها هي السنة الصريحة الصحيحة الصرفة المحضة التي لا يشوبها اجتهاد ولا رأي ولا قياس ولا شيء ولا مصداق لذلك إلا طريق الأئمة المحدثين السابقين وأصحاب الأمهات الست ومن حذا حذوهم في التقوى وصلاح الدين اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

مبيناً أن الصحابة لهم التأثير في فتح القلوب بالعلم والإيمان والتمسك بالسنة لا بالآراء والأقوال السقمية.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٦٧).
(٢) «الدين الخالص» (٣/ ٤٤).

والله ما فتحوا البلاد بكثرة إني وأعداهم بلا حسبان
وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الآراء بل بالعلم والإيمان

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإذا قال الرجلان منهم في شيء قولين نظرت فإن كان قول أحدهما أشبه بالكتاب والسنة أخذت به لأن معه شيئاً قوياً فإن لم يكن على واحد من القولين دلالة بما وصفت كان قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان أرجح عندنا من واحد لو خالفهم غير إمام اهـ[١].

قلت: أما سبيل السلف العظيم.

نسيج وحده.

لا يضارع في مكرمة ولا يفاخر في مأثرة ولا يُعالى في مرتبة وأنه لمنقطع القرين عديم النظير فقيد الشبيه فهو جم الفضائل كثير الممادح محمود المآثر عليه من الله جل وعلا يد واقية وعين كالئة ونعمة ضافية وجُنة تَحوطه وفضل من الله عظيم وطول جسيم. وإنه ليحطم ما تحته .

قال الإمام الرباني ابن القيم مادحا أصحاب النبي ﷺ[٢]:

لله ذياك الفريق فأنهم خُصُّوا بخالصة من الرحمن
شُدت ركائبهم إلى معبودهم ورسوله يا خيبة الكسلان

قلت:

والله ما أعظم هذا الفريق الذين خصهم ربنا عز وجل بخصائص عظيمة منها:

(١) انظر «إعلام الموقعين» (٤/٩٨) .
(٢) النونية ص ٢٢٠ (طبعة مكتبة ابن تيمية).

أنه صرح بالرضى عنهم كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وأنه جل وعلا قال عنهم:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

هؤلاء أصحاب النبي ﷺ الذي مدحهم وأثنىٰ عليهم معلمهم ومُر بيهم بقوله ﷺ:

(للمهاجرين منابر من ذهب يجلسون عليها يوم القيامة قد أمنوا من الفزع)(١).

قلت:

وكان ابن القيم رحمه الله تعالى في تواليفه وكتاباته كثيراً ما يتقيد ويلزم نفسه بفهم أصحاب النبي ﷺ لما خصهم الله عز وجل من خصائص وميزهم جل وعلا بالفهم السليم لكلامه جل وعلا ولحديث النبي ﷺ فهم رضي الله عنهم امتازوا:

١- بالفهم السليم الدقيق وحسن الإدراك وصفاء ونقاء الذهن وحيازتهم أنواع العلوم الشرعية.

٢- معايشة التنزيل ومشاهدة الوحي والتلقي عن رسول الله ﷺ مشافهة ومثافنة بلا واسطة.

قال ابن القيم رحمه الله(٢) تعالى مؤكداً ومؤصلّا عظيم وقدر فهم الصحابة رضي الله عنهم.

أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٥٨٢ م، والبزار (٢/٣٠٦) ١٧٥٣ م، والحاكم ٤/٧٦، وحسنه شيخنا رحمه الله تعالى في الصحيحة ٧/ ١٥٥٥ (٣٥٨٤).

(٢) انظر إعلام الموقعين.

انهم كانوا أبر قلوباً وأعمق علماً وأقل تكلفاً وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما نوفق له نحن لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الإدراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب تعالى فالعربية طبعيتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصولين قد غُنوا عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

إحداهما: قال الله كذا وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين.

المقدمتين أحظى الأمة بها فقواهم مجتمعة عليها.

وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة الأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة علم الإنسان وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة وفكرهم في كلام مصنفيهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة إلى غير ذلك من الأمور فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية، إن كان لهم شعبة تسافر إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب تلك القوة وهذا أمر يحس به الناظر في مسألة إذا استعمل قوى ذهنه في غيرها ثم صار إليها ووافاها بذهن كال وقوى ضعيفة.

والمقصود أن الصحابة أغناهم الله تعالى عن ذلك كله فاجتمعت قواهم على تينك المقدمتين فقط، هذا إلى ما خُصُّوا به من قوى الأذهان وصفائها وصحتها وقوةِ إدراكها وكثرة المعاون وقلة الصارف وقرب العهد بنور النبوة والتلقي من تلك المشكاة النبوية فإذا كان هذا حالنا وحالهم فيما تميزوا به علينا وما شاركناهم فيه فكيف نكون أو شيوخنا أو شيوخهم أو من قلدناه

أسعد بالصواب منهم في مسألة من المسائل ومن حدث نفسه بهذا فليُغْرها من الدين والعلم والله المستعان اهـ.

قلت :

ومن مناقب وفضائل أصحاب النبي ﷺ الجمة أنهم مثلوا الأحداث وأنزلوها منازلها ونظائرها فلهم الاضطلاع بهذا الأمر والقيام به والنهوض بأعبائه ولهم السبق في إدراك ومعرفة الأصول والقواعد ومعرفة الأشباه والنظائر حتى جعلوا جميع أحواله مستقيمة ومجاريه مضطردة وأموره متسقة مستمرة لا ينوبه خلل لأنه منهج قويم وصراط عظيم ولا يعتريه أود ولا يمازجه فساد ولا يخالطه وهن ولا أمت ولا عوج ولا التياث ولا انتكاث.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فالصحابة رضي الله عنهم مثلوا الوقائع بنظائرها وشبهوها بأمثالها وردوا بعضها إلى بعض في أحكامها وفتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقه وبينوا لهم سبيله. اهـ

وانظر ما ورد في كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في مسألة القضاء.

(الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عندك فاعمد إلى أحبِّها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى)[1].

(١) أثر صحيح بطرقه: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣٥) وفي السنن والآثار (٧/ ٣٦٦) له مطولًا، والدارقطني في الأقضية والأحكام (٤/ ٢٠٦-٢٠٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٢١٥) وصححه شيخنا حافظ الوقت رحمه الله تعالى في إرواء الغليل(٢٩١٩).

قلت:

التابع للسلف أصحاب الفهم والصراط المستقيم لا يستحق النجاة والفلاح والخيرية إلا بالسير والاقتداء الحق لهم فإنهم هم السابقون لكل خير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(١): لا فلاح إلا باتباع الرسول ﷺ فان الله خصَّ بالفلاح اتباعه المؤمنين وأنصاره كما قال تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي لا مفلح إلا هم اهـ.

وقال رحمه الله تعالى مبيناً ومؤكداً أن الصواب والحق في كل مسائل النزاع إنما الحق ما كان عليه السلف الصالح.

قال رحمه الله تعالى(٢):

والصواب في جميع مسائل النزاع: ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قلت:

وإنما كان السلف رضي الله عنهم أحق بالاتباع لأن الله عز وجل جمعهم على كتابه جل وعلا وعلى سنة رسول الله ﷺ فلم يُمْسَك عليهم تنازع وتخاصم في أصول الدين وفي قواعد وصفات الباري جل وعلا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(٣):

أما السلف كالصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يعرف لهم في هذا الأصل

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢).

تنازع بل الآثار متواترة عنهم به. اهـ.

والسبب في تميزهم بذلك هو كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[١]:

(فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[٢]: فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من القيام به والدعوة إليه والصبر عليه.

وقد وصفهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى بأنهم أهل العلم المتمسكين بالعروة الوثقى.

قال رحمه الله تعالى:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها والمقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ (السنة ص٣٣).

قلت:

وعلى المسلم الحريص على اتباع السلف أن يتحلى بخلق الصبر في المتابعة لمنهج السلف ولا يستوحش من قلة الرفيق. ولا طول الطريق.

وفي ذلك يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى:

فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب[٣]:

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٩٠).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/٢٥).
(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٥٥).

قلت:

وعليه إن يمضي قدما في همة عالية إلى نشر مذهب سلف الأمة ولا يكترث لكلام أهل الأهواء الذين يعادون دعوته ويصفونه بصفات قبيحة فهذه عادة أهل الضلال هجيري أهل الزيغ والانحلال.

قال الحافظ أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث[١].

وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم واستخفافهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في أن الخيرية في هذه القرون في الأعمال والأقوال والاعتقاد.

قال رحمه الله جل وعلا[٢]:

(إن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة من علم وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكلة هذا لا يدفعه إلا مكابر).

وقال رحمه الله تعالى[٣]:

ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه إذا عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة

---

(١) (ص١٠١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٥- ١٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧).

النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء (الأسماء ثلاثة أنواع) نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده بالعين كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وإليك درر من كلام الخطيب البغدادي في كتابه الرائع الكفاية[١]:

بعد إيراده كثيراً من الآيات والأحاديث في فضل صحابة النبي ﷺ و رضي الله عنهم .

قال رحمه الله تعالى:

والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن جميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل فيحكم بسقوط العدالة وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله ﷺ فيهم شيء مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

أولئك أصحاب النبي ﷺ وحزبه رضي الله عنهم الذين عاشوا في كنف رسول الله ﷺ ونصائحه وشملهم برُّهُ ففشا فيهم خلقه العظيم فقد أرشدهم إلى أقوم المسالك وأوقفهم على أنهج الطرق ودلهم على أهدى السبل.

---

(١) (ص٤٨-٤٩).

وعاشوا في فيء القرآن العظيم وظلاله وارتووا من معين صفائه وجماله واصطفاهم الله تعالى واختارهم لحمل دينه ونشر شريعته.

فالزم رحمك الله ما ذكرت لك من كتاب ربك العزيز وكلام نبيه الكريم ولا تَحُدْ عنه ولا تبتغ الهدى في غيره ولا تغتر بزخارف المبطلين وآراء المتكلفين فان الرشد والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله لا فيما أحدثه المحدثون وأتى به المتنطعون من آرائهم المضمحلة ونتائج عقولهم الفاسدة وارض بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ عوضاً من قول كل قائل وزخرف وباطل» اهـ:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى(١):

وتعر من ثوبين من يلبسهما يلق الردىٰ بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان

ويُبيِّنُ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن من أسباب الوقوع في الضلال والابتداع في الدين والتحريف الإعراض والاستغناء عن فهم السلف لكتاب الله جل وعلا.

قال رحمه الله تعالى(٢):

وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف: **الإعراض عن فهم** كتاب الله تعالى: «**كما فهمه الصحابة والتابعون**»، ومعارضته ما دل عليه بما يناقضه، وهذا هو من أعظم المحادة لله ورسوله ﷺ لكن على وجه النفاق والخداع» اهـ.

---

(١) «النونية» (٢١).
(٢) «درء تعارض العقْل والنقْل» (٥/ ٣٨٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وعلى هذا الأمر درج السلف رحمة الله عليهم بتأصيل هذا الأمر بأنه:

لا نجاة إلا باتباع الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأُمة، وما اسْتَجَدَّ بعد ذلك من أصول عند المتأخرين محدث مبتدع في الإسلام مسبوق بإجماع السلف على خلافه والنزاع الحادث بعد إجماع السلف مقطوع بخطئه(١).

وقال رحمه الله تعالى في الوجه الثالث عشر:

إن الناس عليهم أن يجعلوا كلام الله ورسوله، هو الأصل المتبع، والإمام المقتدى به، سواء علموا معناه أو لم يعلموه، فيؤمنون بلفظ النصوص ولو لم يعرفوا حقيقة معناها، وأما ما سوى كلام الله ورسوله، فلا يجوز أن يجعل أصلًا بحال، ولا يجب التصديق بلفظ له حتى يفهم معناه، فإن كان معناه موافقاً لما جاء به الرسول كان مقبولًا، وان كان مخالفاً كان مردوداً، وإن كان مجملًا مشتملًا على حق وباطل لم يجز إثباته- أيضاً- ولا يجوز نفي جميع معانيه، بل يجب المنع من إطلاق نفيه وإثباته أو التفصيل والاستفسار.

وهؤلاء جعلوا هذه الألفاظ المبتدعة المجملة أصلًا أمروا بها، وجعلوا ما جاء به الرسول من الآيات والأحاديث فرعاً يعرض عنها ولا يتكلم بها ولا فيها، فكيف يكون تبديل الدين إلا هكذا؟

وقال رَحِمَهُ اللهُ في الوجه الرابع عشر:

ليس لأحد من الناس أن يلزم الناس ويوجب عليهم إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولا يحظر عليهم إلا ما حظره الله ورسوله، فمن أوجب ما لم

(١) انظر «الفرقان بين الحق والباطل» (ص١٦-٤١-٤٢).

يوجبه الله ورسوله، وحرم ما لم يحرمه الله ورسوله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، وهو مضاهٍ لمن ذمه الله في كتابه من حال المشركين وأهل الكتاب الذين اتخذوا ديناً لم يأمرهم الله به.

قلت:

وبعد ذلك لا يملك المرء إلا ينخرط في منهج صحابة النبي ﷺ الذي حباهم واختصهم الله تعالى من الفضل والخير ما لم يعط أحداً بعدهم أبداً.

كيف لا يذعن لهم والله يقول:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فمدحهم الله جل وعلا ثم مدح الذين اتبعوهم ولابد أن يكون الأتباع لهم ﷺ بإحسان ومعنى الإحسان.

هو أن تتَّبعوهم في منهاجهم فلا تخالفوهم في عقيدتهم وفي صفات الله جل وعلا وفي حجية وتوقير سنة النبي ﷺ وحديثه.

قال القرطبي رحمه الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وبين تعالى بقوله: «بإحسان» ما يتبعون فيه من أفعالهم وأقوالهم، لا بما صَدَرَ عنهم من الهفوات والزلات، إذ لم يكونوا معصومين ﷺ.

ولا ريب أن خير الناس، خير القرون هم صحابة النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان أصحاب الصراط المستقيم السوي الذين تمكسوا به حق التمسك

ففازوا بمدح الله تعالى وثنائه عليهم كما قال تبارك وتعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

قال ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ وفي قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

وعن عبدالله بن مسعود[(١)] رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً» وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾.

وعن أبان أن رجلًا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من مر بهم. فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾. .اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وإذا تأمل العاقل- الذي يرجو لقاء الله- هذا المثال، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم

(١) حديث صحيح لغيره لوجود مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره «التقريب» (٦٥٨) وأخرج له مسلم مقروناً وأخرجه ابن ماجه (١١) وأحمد (٣/ ٣٩٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٥) والنسائي في السنن الكبرى (١١١٧٤) والدارمي (٢٠٨) وابن حبان (٦) والحاكم (٢/ ٣١٨).

الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم، وإن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب- وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم، الذي لا يتكلم عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى»(١).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

وهذا وصَفَ الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم.

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ قال: «ضرب الله مثلًا صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: «ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ اللّه في قلب كل مسلم»(٣).

قال أبو جعفر الطحاوي. رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتأملنا هذا الحديث فوجدنا كل ما فيه مكشوف المعنى، غير ما فيه من «واعظ الله في قلب كل مسلم» فإنا احتجنا

---

(١) «الفتاوى» (٤/ ٥٧).

(٢) (٣/ ٣٤٥).

(٣) حديث صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٧٣) وأحمد في المسند (٤/ ١٨٢) والآجري في الشريعة والطحاوي في مشكل الآثار رقم (٢١٤٢) والطبري في التفسير (١٨٧) والرامهرمزي في الأمثال (٣) وابن أبي عاصم في السنة (١٩) والطبراني في مسند الشاميين (٢٠٢٤).

إلى الوقوف على حقيقته ما هو، فنظرنا في ذلك فوجدنا الواعظ من الآدميين هو الذي ينهى الناس عن الوقوع فيما حرم الله تعالى عليهم.

«فعقلنا» بذلك أن مثله في قلب المسلم هي حجة الله تعالى التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله وحرمه عليه، وإنما هي واعظ الله في قلبه من البصائر التي جعلها الله تعالى فيه والعلوم التي أودعه الله تعالى إياها، فيكون نهيها إياه عن ذلك وزجرها إياه عنه كنهي غيرها من الناس بالذي في قلوبهم مثلها إياه عن ذلك والله نسأله التوفيق(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتوى الحموية الكبرى»(٢) في كلام قوي رائع فيه تأصيل لمذهب السلف لأنهم فهموا عن النبي ﷺ كل شيء وهو السراج المنير ولا يجوز أن يكون الخالفون أعلم من السالفين.

قال رحمه الله تعالى:

فمن المحال في العقول والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أنْ يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بَعَثَ به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر أنه أكمل له ولأُمته دينهم وأتم عليهم نعمته، محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان والعلم به مُلْتبساً مُشْتبهاً فلم يُميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل ما اكتسبته القلوب وحَصَّلتْهُ النفوس وأدركته العقول فيكف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول

(١) «مشكل الآثار» (٣/٣٦- ٣٧).
(٢) (ص١٧٧).

وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقاداً وقولًا؟!

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أُمته كل شيء حتى الخراءة[١] وقال[٢]:

تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيع عنه بعدي إلا هالك.

وقال فيما صحَّ عنه ﷺ[٣]: ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أنْ يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شَرِّ ما يعلمه لهم.

---

(١) الخراءة: بكسر الخاء الجلسة للتخلي والتنظف منه والأدب فيه، قلت: وقد علم النبي ﷺ أمته كل شيء حتى طريقة قضاء الحاجة والاستطابة، كما ثبت ذلك من حديث سلمان رضي الله عنه قال له يهودي: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم.
كما قال حذيفة رضي الله عنه: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله. رواه مسلم.
قلت: لا شك بأن السلف رحمهم اللّه تعالى أخذوا ألفاظ القرآن معانيه مشافهة ومثافتة من رسول اللّه ﷺ فهم أعلم بتأويله قال ابن القيم رحمه الله مفنداً ومزيفاً هذا القول الباطل والافتراء المتهافت والمين المبين من أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ الوحيين من غير فقه!!
قال ابن القيم رحمه الله: «فالصحابة رضي الله عنهم أخذوا عن رسول اللّه ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ يأخذون المعاني أولًا ثم يأخذون الألفاظ».

(٢) حديث صحيح وأخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) رواه الترمذي (٢٩٧٨) وأبو داود (٤٦٠٧) والدارمي (١/ ٤٤) وابن ماجه في المقدمة رقم (٥) ١/ ٤ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (رقم ١٤٩٧) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٤٦٥) وابن أبي عاصم في السنة (٣٣) والحاكم (١/ ٩٦).
تنبيه: هناك زيادة لا تصح وهي المحجة البيضاء، يذكرها بعض طلاب العلم ولم تصح هذه الزيادة. واللّه أعلم.

(٣) رواه مسلم (٦/ ١٨) ولفظه: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمتي على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه هم وإن أمتكم...» ورواه النسائي (٢/ ١٨٥) وابن ماجه (٢/ ٤٦٦ - ٤٦٧) وأحمد (٢/ ٩١).

وقال أبو ذر رضي الله عنه[١]:

لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»[٢].

محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين- وإنْ دُقَّت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة[٣] من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خيراً منه وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

---

(١) صحيح رواه أحمد (٥/ ١٥٣).
(٢) رواه البخاري (٣١٩٢) ٩/ ٢٨٩ كتاب بدء الخلق.
(٣) مسكة: بقية وتطلق المسكة على الرأي والعقل يقال: فلان لا مسكة له أي لا عقل له ولا رأي.

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدْر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أنَّ:

«طريقة السلف أسلم وطريق الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أُوتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال فيهم أو منهم ﴿أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريق الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بَقَوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه فلما انبنىٰ أمرهم على هاتين المقدمتين الكفرتين كانت النتيجة:

استجهال السابقين الأولين واسْتبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوماً أُمِيِّين، بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يَتَفطَّنوا

لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قَصَبَ السبق في هذا كُلِّه!!

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجَدَهَ في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والإشارة بالخَلَف إلى ضَرْب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغَلُظَ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم»اهـ.

قلت:

ثم ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أشعار وأقوال لأئمة الأشعرية الذين رجعوا إلى مذهب السلف وقد مرت هذه الأقوال.

وقد بيَّن شيخ الإسلام أن المخالفين للسلف ليس عندهم علم ولا معرفة صحيحة بالله تعالى وهم حيارى.

فكيف يكونون أعلم من السابقين الأولين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[(١)]: ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون[(٢)] أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلًا

(١) «الفتوى الحموية الكبرى» (ص١٩٦).
(٢) المتهوك: المتحيِّر والمتهور والوقوع في الشر بغير مبالاة «القاموس المحيط» (ص١٢٣٧).

عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان.

ثم بين شيخ الإسلام ورد رداً قوياً على من اعتقد بأن هؤلاء الضالين النافين لصفات الله جل وعلا الثابتة أعلم من السلف!

قال رحمه الله تعالى:

فإن كان الحقُّ فيما قاله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ثم على رسول الله ﷺ ثم على خير الأُمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قط ولا يدلون عليه نصاً ولا ظاهراً حتى يجئ أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يُبيِّنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أنْ يعتقدها لئن كان من يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وأنْ يدفعوا بمقضتى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الأسماء والصفات فصفوه به سواء موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به!!

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[1]:

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاء لما في الصدور ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلِّفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصّاً ظاهراً وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أنَّ مَنْ دلَّ الخلقَ على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله: «هل تعلم له سمياً» لقد أبعد النجعة[2] وهو إما مُلغز أو مُدلس، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين، ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره فلا

---

(١) (ص٢٢٨).

(٢) النُجعة: بالضم طلب الكلأ في موضعه والجمع النُجع القاموس المحيط (ص٩٨٩).

تعتقدوا وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه.

ثم الرسول ﷺ قد أخْبر بأن أُمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال: إني تارك فيكم إنْ تمسكتمُ به لن تضلوا كتاب الله»[١].

وروي عنه ﷺ أنه قال في صفة الفرقة الناجية «هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» اهـ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو يصف طريقة السلف رضي الله عنهم[٢]:

«وطريقهم هو دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث عنه ﷺ[٣] أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب: هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أُولُوا المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة وفيهم الإبدال: الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

---

(١) حديث حسن: أخرجه الحاكم (١/ ٩٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤) وابن حزم (الإحكام في أصول الأحكام) (٦/ ٨٠٩ - ٨١٠)، ورواه مسلم (٤/ ١٨٧٣ - ١٨٧٤) بلفظ آخر.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٩).

(٣) حسن لغيره: رواه الترمذي في الإيمان (٥/ ٢٦) والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨، ١٢٩) الآجري في الشريعة (رقم ٢٣) (١/ ٣٠٨) ورقم (٢٤/ ١/ ٣٠٩) والديلمي في مسند الفردوس (رقم ٥٣٤٧) (٣/ ٤٣٩) وانظر تحفة الأشراف (رقم ٨٨٦٤) (٦/ ٣٥٤) وابن نصر في السنة (رقم ٥٩) وابن بطة في الإبانة (رقم ٢٦٥) (١/ ٣٦٩) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٧).

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ[١]: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، والله أعلم» اهـ.

وقال رحمه الله تعالى عن سبب نجاتهم وفوزهم يوم القيامة[٢]:

«وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحهما وسقيهما، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً وعملًا وحباً وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أُصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه».

روائع وبدائع من الكلام للإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الانتصار لمذهب السلف الكرام .

قال الحافظ وهو ينقل عن بعض العلماء:

وقال غيره[٣]: قول من قال: «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم»

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٦/ ٦٣٢) (رقم ٣٦٤٠) وفي الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٤٥٩) (١٣/ ٢٩٣) ومسلم في كتاب الإمارة (٣/ ١٥٢٣) (رقم ١٩٢١) وابن ماجه رقم (٧) في المقدمة (١/ ٥) وأحمد (٢/ ٣٢١) وابن حبان رقم (٦٨٣٥) (١٥/ ٢٤٩) والروياني في مسنده (رقم ١٩٢) (١/ ١٦٢) والمحاملي في أماليه (رقم ٤٩٩ ص ٤٢٤).
(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٣٤٧).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٥٢).

ليس بمستقيم لأن من ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات فجمع هذه القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف، وليس المراد كما ظن، بل السلف في غاية بما يليق بالله تعالى وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده، وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله» اهـ.

قلت:

وأقر الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالى هذا الكلام الرائع المحرر.

قلت:

وقد تكلم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كلاماً قوياً في وجوب الأخذ عن صحابة الرسول ﷺ، لأنهم أخذوا العلم والوحي عن جبريل عن الله عز وجل في صفاته وأسمائه والاعتقاد الحق به لأن الحق معهم والصواب رديفهم لله درهم، كيف لا وهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ فعلمهم أحكم وسبيلهم أقوم وطريقهم ومنهجم أسلم، لذلك ولوضوح هذا المنهاج:

يجب على المسلم أن يدعو إلى أصل الدين وهو الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة فمتى دعا إلى ذلك كان العهد قريباً والاتصال عظيماً والاتِّباع قويماً لعهد وزمن خير القرون الثلاثة.

قلت:

رحمة الله تعالى على شيخ الإسلام رحمة واسعة فلله دره ما أشد اتباعه لمنهج السلف وما أعظم حرصه وتبجيله للقرون الثلاثة، فهو رحمه الله تعالى مع علمه الجم ومعرفته بعلم السلف وأصول مذهب السلف لم يُرِدْ ولم يشأ مخالفتهم في أمور العقيدة والمنهاج، فعلمه رحمه الله تعالى وكتبه

وفتاواه خاضعة لكتاب الله تعالى ولحديث النبي ﷺ وآثار السلف وعلماء الأمة السابقين وإذا أورد المسائل العقائدية والفقهية ذكر رحمه الله تعالى أقوال أئمة الهدى ومصابيح الدجى أمثال الصحابة ﭫ والتابعين وأقوال الأئمة الأربعة بل والأربعين.

ويقول عن طريق السلف في مسألة الصفات:

وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف، فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن بغير هدى من الله ظلم.

فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير اتباع ما جاء به الرسول ﷺ؟ اهـ.

قلت:

فإن مذهب السلف قد سطع نورُه وضياؤه وأشرق حسْنه وبهاؤه ولاح ضوءُه وسناؤه وتمَّت بحمد الله عز وجل محاسنه وجماله فهو منهج عظيم وأتباعه يتميزون بفهم سليم.

ولا ريب بأن سنا ضوئه يخلُب القلوب ويسلب النفوس والألباب ويَبْتَز العقول.

قال الإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي- رحمه الله تعالى[١]-:

«سنة الصحابة ﭫ سنة يعمل عليها ويرجع إليها ومن الدليل على ذلك أمور:

(١) الموافقات (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧).

أحدها: ثناء الله عز وجل عليهم من غير مثنوية، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

ففي الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، جريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقاً، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى وأيضاً فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق وأنهم وسط- أي عدول- بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم مُعتبر، وعملهم مقتدى به، وهكذا سائر الآيات التي جاءت بمدحهم كقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وما أشبه ذلك.

والأمر الثاني: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي ﷺ كقوله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمكسوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ»[١].

وقوله ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة- قالوا من هم يا رسول الله؟- قال: ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

والأمر الثالث: أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلًا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلًا، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلًا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة» اهـ.

قلت:

ومن الأدلة والبينات التي أحتج بها هؤلاء قول الرسول ﷺ في قصة طويلة أخرجها الإمام مسلم(١) وفيها حرص أبي قتادة على راحة النبي ﷺ وحفظه لرسول الله ﷺ وفيه قول الرسول ﷺ: «فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا».

ثم قال أبو إسحاق(٢):

«وهذه الآراء وإن ترجح عند العلماء خلافها- ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي وهو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيم وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلًا عن النظر معهم فيما نظروا فيه».

ثم أورد أبو إسحاق- رحمه الله تعالى- بعض الآثار في ذلك:

منها عن حذيفة رضي الله عنه: (اتقوا الله يا معشر القراء)(٣) وقول إبراهيم

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) الموافقات (٤/ ٤٥٧).
(٣) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (رقم ٧٢٨٢) وأبو داود =

النخعي- رحمه الله تعالى- : «لم يُدخر لكم شيء خُبِّئ عن القوم لفضل عندكم»[١].

وتأمل كلمة أبي إسحاق الشاطبي- رحمه الله تعالي- في عدم جواز مخالفة السلف: «كل ما جاء مخالفاً لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه».

واستدل الشاطبي على عمل السلف في عدم تكفير الثنتين وسبعين فرقة التي هي في النار لأن الوعيد لهذه الفرق الضالة الزائغة لا يستلزم تكفيرهم، وقال: «الدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم».

بل وأبلغ من ذلك (الموعظة البليغة): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمكسوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[٢].

قال الإمام المحقق الشاطبي الأصولي:

«فقرن ﷺ كما ترى سنة الخلفاء الراشدين بسنته وإن من اتّباع سنته اتباع سنتهم وأن المحدثات خلاف ذلك ليس منها في شيء لأنهم رضي الله عنهم فيما سنوه: إما متبعون لسنة نبيهم ﷺ نفسها **وإما متبعون لما فهموا** من سنته ﷺ في الجملة والتفصيل على وجهٍ يخفى على غيرهم مثله لا زائدة على ذلك» اهـ.

قال العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ذهبي العصر:

= في كتاب الزهد (٢٧٣) وابن المبارك في الزهد (٤٧) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٩٦ و١٩٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (رقم ١١٩) (١/ ٩٠) والمروزي في السنة (رقم ٢٥) والبزار في مسنده (رقم ٢٩٥٦) (٧/ ٣٥٩).

(١) إسناده صحيح:
أخرجه البيهقي في المدخل (رقم ٢٣٢) وابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (رقم ١٨٠٨) (٢/ ٩٤٦).

(٢) تقدم تخريجه.



قد أكثر العارفون بالإسلام- المخلصون له- من تقرير أن كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخور والتخاذل وغير ذلك من وجوه الانحطاط إنما كان لعبدهم عن حقيقة الإسلام».

قلت:

وما حقيقة الإسلام وأصل الملة إلا الرجوع إلى فهم الصحابة للإسلام لأن ما فهموه وعقلوه هو الحق الذي لا يجوز أن نخالفهم فيه فمن خالف السلف فقد ضل وزاغ وتلف وانحرف.

وإليك هذه الحادثة التي تبين وتجلي عظيم فهم السلف ولابد من الرجوع والاهتداء بأقوالهم وموافقتهم.

ذكرها الإمام الرباني الحافظ أبو بكر الحسين الآجري في كتاب الشريعة:

حدثنا أحمد بن الممتنع بن عبدالله القرشي التيمي، قال: أنا أبو الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنظور الهاشمي- وكان من وجوه بني هاشم، وأهل الجلالة، والشأن منهم- قال: حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين، وقد جلس ينظر في أمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس، تقرأ عليه من أولها إلى آخرها فيأمر بالتواقيع فيها وإنشاء الكتب لأصحابها، ويختم ويدفع إلى صاحبه، بين يديه، فسرني ذلك، وجعلت أنظر إليه ففطن ونظر إلي، فغضضت عنه حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً، إذا نظر غضضت، وإذا اشتغل نظرت، فقال لي: يا صالح، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقمت قائماً، فقال: في نفسك منا شيء تحب أن تقوله: أو قال: تريد أن تقوله؟ ، فقلت نعم، يا سيدي، يا أمير المؤمنين، قال لي: عد إلى موضعك، فعدت، وعاد في النظر حتى إذا قام قال للحاجب: لا يبرح صالح، فانصرف الناس ثم أذن لي، وقد أهمتني نفسي فدخلت فدعوت له، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال: يا صالح، تقول

لي: ما دار في نفسك، أو أقول أنا: ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه، وما تأمر به. فقال: وأقول: كأني بك وقد استحسنت ما رأيت منا، قلت: أي خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق؟ فورد على قلبي أمر عظيم، وأهمتني نفسي، ثم قلت يا نفس هل تموتين إلا مرة؟ وهل تموتين قبل أجلك؟ وهل يجوز الكذب في جد أو هزل؟ فقلت والله يا أمير المؤمنين، ما دار في نفسي إلا ما قلت، ثم أطرق ملياً، ثم قال لي: ويحك، اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن مني الحق، فسرى عني فقلت يا سيدي ومن أولى بقول الحق منك؟ وأنت خليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، من الأولين والآخرين.

فقال: ما زلت أقول: إن القرآن مخلوق صدر من خلاقة الواثق، حتى أقدم علينا أحمد بن أبي داؤد شيخاً من أهل الشام من أهل أذنة فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيى منه، ورق له، فما زال يدنيه ويقربه، حتى قرب منه، فسلم الشيخ فأحسن السلام، ودعا فأبلغ الدعاء، وأوجز، فقال له الواثق اجلس.

ثم قال له يا شيخ ناظر ابن أبي داؤد على ما يناظرك عليه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي داؤد يقل ويضيق، ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق، وعاد مكان الرأفة له غضباً عليه، فقال: أبو عبدالله ابن أبي دؤاد يصبو يقل ويضعف عن مناظرتك أنت؟

فقال له الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وأئذن لي في مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد، إلى ما دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلى أن تقول: القرآن مخلوق، لأن كل شيء دون الله مخلوق.

قال الشيخ: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تحفظ علي، وعليه ما نقول، قال: أفعل.

قال الشيخ: أخبرني يا أحمد عن مقالتك هذه، أواجبة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه ما قلت؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله تعالى إلى عباده، هل ستر رسول الله ﷺ شيئاً مما أمر الله تعالى به في دينه؟

قال: لا.

قال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الأمة إلى مقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: تكلم.

فسكت، فالتفت الشيخ/ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة.

فقال الواثق: واحدة

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالى، حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أكان الله تعالى الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجبه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان.

فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد اخبرني عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟

قال ابن أبي دؤاد: علمها.

قال الشيخ: فدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث.

فقال الواثق: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله ﷺ إذ علمها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟

فقال ابن أبي دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول أن أحمد يضيق ويقل ويضعف عن المناظرة.

يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة، ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك.

فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله علينا،

أقطعوا قيد الشيخ، فلما قطع، ضرب الشيخ يده إلى القيد ليأخذه فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه، فأخذه الشيخ فوضعه في كمه، فقال الواثق لم جاذبته عليه؟

قال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم إلى من أُوصي إليه إذا مت أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله تعالى يوم القيامة، فأقول يا رب، سل عبدك هذا، لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي؟ وبكى الشيخ فبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله، فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم، إكراماً لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلًا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة.

فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت.

فقال الواثق: تقيم فينا فينتفع بك فتياننا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك، وأخبرني بما في ذلك أصير إلى أهلي وولدي وأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك.

فقال الواثق: فتقبل منا صلة ما تستعين بها على دهرك.

قال الشيخ: يا أمير المؤمنين، لا تحل لي، أنا عنها غني، وذو مرة سوى.

قال: فأسل حاجتك.

قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: فخل سبيلي إلى ثغر الساعة، وتأذن لي.

قال: قد أذنت لك، فسلم الشيخ، وخرج.

قال صالح: قال المهتدي بالله رحمة الله عليه: فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت[1].

قلت:

وأوردت هذه الحادثة للاستئناس بها وللعبرة والفائدة منها وهي:

الرجوع إلى فهم السلف في النوازل والأمور المدلهمة فإن في ذلك الأمن والاستقرار والطمأنينة وكلما عظم المسلمون هذا الفهم كلما مَنَّ اللَّه عليهم بالهداية والتثبيت لأنه لا نجاة ولا فوز إلا بتعظيم هدي السلف وفهم ذلك الرعيل الأول الذي مدحهم وأثنى عليهم اللَّه جل وعلا ولا شك بأن المذلة والهوان والثبور بالابتعاد عن هدي سلف الأُمة والخزي والشنار بأنْ نقلب ظهر المجن لأعظم وأنبل وأشرف وأزكى هدي وسبيل هدي صحابة النبي ﷺ الذين رفع اللَّه تعالى قدْرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ

---

(١) حادثة رائعة جميلة لكن إسنادها ليس بذاك لوجود صالح بن علي بن يعقوب المنصور الهاشمي لم أجد له ترجمة بعد البحث في كتب تراجم الرجال.
وأبو عبد اللَّه جعفر بن إدريس القزويني ضعفه الدارقطني كما في لسان الميزان (٢/ ١١٠).
والحادثة أخرجها الآجري في الشريعة (١٩٣) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥) وذكرها ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (٣٥١) والحافظ الذهبي في دول الإسلام (ص١٤٠) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٣٤١) والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٢١) وأشار إليها الحافظ ابن حجر في التهذيب (٦/ ٥) وقال القصة مشهورة حكاها المسعودي وغيره» ذكر هذا محقق كتاب الشريعة الدكتور الشيخ عبد اللَّه بن عمر الدميجي جزاه اللَّه خيرا.

وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان مُمتع وقول جامع منقح العبارة مُحكم السَّبك في الاحتجاج بفهم الصحابة.

قال رحمه الله تعالى:

قال بعض علماء المالكية:

أهل الأعصار مجمعون على الاحتجاج بما هذا سبيله، يعني فتاوى الصحابة ﷺ وأقوالهم- وذلك مشهور في رواياتهم وكتبهم ومناظراتهم واستدْلالاتهم ويمتنع والحالة هذه إطباق هؤلاء كلهم على الاحتجاج بما لم يُشَرِّعْ الله ورسوله الاحتجاج به، ولا نصبه دليلًا للأُمة فأي كتاب شئت من كتب السلف والخلف المتضمنة للحكم والدليل وُجِدت فيه الاستدلال بأقوال الصحابة ﷺ ووُجدت ذلك طرازها وزينتها ولم تجد فيه قط:

ليس قول أبي بكر وعمر حجة ولا يحتج بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ وفتاويهم ولا ما يدل على ذلك.

وكيف يطيب قلب عالم يُقدِّم على أقوال من وافق ربَّه تعالى في غير حكم، فقال وأفتى بحضرة الرسول ﷺ ونزل القرآن بموافقة ما قال لفظاً ومعنى قولَ متأخر بعده ليس هذه الرتبة، ولا يدُانيها فكيف يكون أحد من الأُمة بعدهم أولى بالصواب منهم في شيء من الأشياء؟!

هذا عين المحال.

قلت:

ما أجمل هذا التحقيق القيم الذي صدر من عالم فقيه أحوذي قد درس مذهب الخلف وسَبر مناهجها وهو يُبين: وأنَّى يأتي قومٌ من بعد الصحابة لهم الفهم الصائب والحجج البيِّنة أفضل وأحسن وأهدى وأحكم من فهم من شاهد النبي ﷺ وجلس معه وسافر معه وحَضَرَ مجالسه وعاين سواعظه وآدابه وزواجره وأوامره والتزم سنته وخلقه ﷺ.

ثم نأتي بعد ذلك ونقول:

إن فهم الخلف أحكم وأعلم!

يا سبحان الله من يقول ذلك أو من يجرؤ أن يقدم فهمه على فهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وابن عباس وعبدالله بن عمر وأبي هريرة.

ومعاذ بن جبل وغيرهم كثير.

من يستطيع ان يقحم نفسه ويتنطع ويكابر ويقول أن فهم الخلف مثلًا الذين أولوا صفات الله تعالى كالزمخشري أو كأبي الطيب الباقلاني أو ابن فورك أو الآمدي أو الأرموي أو الايجي.

أعلم وأفقه من ابن عباس أو ابن مسعود وأن هؤلاء المؤولين أعلم وأحكم في التفسير والعلم بصفات الباري جلا وعلا ألا شعر المسلم بالحياء والانكسار.

أن يَفتئت على قول صحابي قال هذا القول وأفتى بهذه الفتيا إن هذا لهو السفه بعينه والجهل بذاته.

تأمل أقوال الأئمة الكبار العظام خَضَعوا وانقادوا لكلام وأقوال أصحاب النبي ﷺ كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والليث بن سعد

وعبدالله بن المبارك.

وكشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن كثير وابن حجر وكذلك مشايخنا حافظ الوقت الألباني والعلامة مفتي الأنام عبدالعزيز بن باز والعلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحم الله تعالى الجميع.

فهؤلاء لم تُعرف لهم فتوى أو قول خالف صحابياً في فهمه لكلام الله جل وعلا أو كلام رسوله ﷺ فهذا الحق ليس به خفاء ودعني من بُنيَّات الطريق.

أما أهل الرفض والاعتزال والأشاعرة والماتريدية فقد خالفوا فهم السلف في مواطن عديدة وصرحوا كما تقدم:

بأن فهم السلف أسلم وفهم الخلف أعلم وأحكم وأقوم تالله إنها لإحدى الكبر وهذا الضلال بعينه وصدق من قال:

إن فهم السلف أسلم وفهم الخلف أعلم وأحكم وأقوم أولها سفسطة وآخرها زندقة.

ولا شك بأن أخذ الفهم والعلم عن الأصاغر[1] هلكة ومضلة تأمل قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

«لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا جاء العلم من قِبَلِ أصاغرهم هكلوا»[2].

---

(١) وعندي رسالة بحمد اللّه عز وجل سميتها: «القول الباهر في ذم أخذ العلم عن الأصاغر» أسأل اللّه تعالى أن يعينني على نشرها.

(٢) صحيح أخرجه عبد اللّه بن المبارك في الزهد (رقم ٨١٥) وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٤٩، ٢٥٧/ ٢٠٤٤٦ و٢٠٤٨٣) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (١٠٥٧ و١٠٥٨ و١٠٦٠) واللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (١٠١) والطبراني في المعجم الكبير (٨٥٨٩) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٥) رقم (٧٧٦) والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٧٥٩٠) والهروي في ذم الكلام (١٤١٢).

وقال جابر رضي الله عنه في تفسير قول الله جلا وعلا: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

قال: أولو الفقه والخير.

وعن مجاهد قال: «الفقهاء والعلماء».

قال عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالى:

ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فَخُذْه، وما قالوا برأيهم، فَبُلْ عليه.

قلت:

في هذه الآثار تسديد وبيان عظم فهم الصحابة وأنه يتعيَّن المصير إليه، تأمل قول النبي ﷺ في الوصاة بسنة الخلفاء الراشدين.

«عليكم[1] بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فمتكسوا بها وَعَضُّوا عليها بالنواجذ».

وما أوصى بذلك وهو التمسك والعض بالنواجذ إلا لأنهم جديرون قَمِنُون بالفهم.

وما أحسن قول ابن القيم وهو يشرح قول النبي ﷺ المتقدم قال رحمه الله تعالى[2].

فَقَرَن سنة خلفائه بسنته وأمر باتباعها كما أمر باتباع سُنته وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ وهذا يتناول ما أَفْتوا به وسنّوه للأمة وإنْ لم يتقدم من نبيِّهم فيه شيء وإلا كان ذلك سنته، ويتناول ما أفتى به جميعهم أو

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/١٣٦).

أكثرهم أو بعضهم لأنه علق ذلك بما سنه الخلفاء الراشدون ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك وهم خلفاء في آنٍ واحد فُعلم أن ما سنه كل واحد منهم في وقته فهو من سنة الخفاء الراشدين» اهـ.

قلت:

وفي الحديث الذي تقدم وهو حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه :

قول النبي ﷺ في وصيته العظيمة.

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء أي وعليكم بسنة الخلفاء الراشدين المهديين: فيه بيان الحتم والوجوب في الرجوع إلى فهم الصحابة والتعويل على الأخذ بأقوالهم.

قال أبو حامد الغزالي(١):

وظاهر قوله ﷺ عليكم: الإيجاب وهو عام.

وإليك كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يستنبط من حديث «النجوم أمنةٌ»(٢).

في وجوب الرجوع والاهتداء إلى فهم أصحاب النبي ﷺ لأن الأُمة تهتدي بعد الوحيين بفهمهم رضي الله عنهم .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ النجوم أَمَنةٌ للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون.

---

(١) المستصفى (١/ ١٤٠).
(٢) رواه مسلم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[1]: ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهْتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبِّيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم وأيضاً فإنه جَعَل بقاءهم بين الأُمة أمنة لهم حِرْزاً من الشر وأسبابه فلو جازَ أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنةً للصحابة وحرزاً لهم وهذا من المحال» اهـ.

ويبين الحافظ ابن عبدالهادي رحمه الله تعالى عدم جواز احداث تأويل في نصوص الوحيين الكريميين لم يقل به السلف.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ[2]:

«ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه، ولا بينُّوه للأمة فان هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر» اهـ.

وما أجمل قول شيخ الإسلام في هذا الأمر:

وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اخْتُصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين» اهـ.

وقال رحمه الله تعالى: «يُرجع إلى تفسير الصحابي للقرآن ذكره القاضي».

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٣٦).
(٢) «المسودة» (ص١٥٨-١٥٩).

إذا قال: هذا الخبر منسوخ وجب قبول قوله ولو فسره بتفسير وجب الرجوع إلى تفسيره.

وقال الحافظ الأصولي الشاطبي رحمه الله تعالى[1]:

وأما بيان الصحابة فإن أجمعوا على ما بيَّنوا فلا إشكال في صحته أيضاً كما أجْمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦] وإنْ لم يُجعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل، ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم فهم **أعرف في فهم الكتاب والسنة** من غيرهم فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

والثاني: مُباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة فهم **أقعد في فهم القرائن الحالية**. وأعرف بأسباب التنزيل ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات أو تخصيص بعض العمومات فالعمل عليه صواب وهذا إنْ لم يُنقل عن أحد منهم خلاف في المسألة فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية وعادة مالك بن أنس في موطئه وغيره، الإتيان بالآثار عن الصحابة رضي الله عنهم مبيناً بها السنن وما يعمل به منها وما لا يعمل وما يقيد به مطلقاتها وهو دأبه ومذهبه لما تقدم ذكره.

ثم قال رحمه الله: وأنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن أحوالها ما لم

(١) «الموافقات» (٤/ ١٢٧، ١٢٨).

يشاهد من بعدهم، ونقل قرائن الأحوال كما هي عليه كالمتعذر فلابد من القول **بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم** فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما هو موضوع موضع التفسير، بحيث لو فرضنا عدمه لم يمكن تنزيل النص عليه على وجهه: انْحَتَمَ الحكم بإعمال ذلك البيان لما ذكر ولما جاء في السنة من اتِّباعهم والجريان على سنتهم» اهـ.

قال علي بن خشرم: دخل إسحاق بن إبراهيم على عبدالله بن طاهر فسأله عن حديث رسول الله ﷺ: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، كيف ينزل!!؟

قال أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: جَمَعني وهذا المبتدع- يعني إبراهيم بن أبي صالح- مجلس الأمير عبدالله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء[١]. قال فرضي عبدالله كلامي وأنكر على إبراهيم.

وفي رواية قال إسحاق بن راهويه: دخلت يوماً على عبدالله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له: ويقدر: فسكت عبدالله فقلت: أيها الأمير إن الله تعالى بعث إلينا نبياً، نُقل إلينا عنه أخبار بها نحلل الدماء، وبها نحرم، وبها نحلل الفروج، وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذاك بطل ذاك قال فأمسك عبدالله[٢].

---

(١) وما أجمل قول الفضيل بن عياض أبو علي: إذا قال لك جهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل له: أنا أؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء، وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (٦١) ورواه اللالكائي (٢/ ٤٥٢).

(٢) إسناده صحيح أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٥) رقم (٩٥٠) ورقم (٩٥١).

قلت:

ما أقوى حجة الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه فإنه أرجع الأمر إلى قول وخبر النبي ﷺ وما استقر عليه فهم السلف في نزول الرب العظيم حقيقة.

فيجب قطع الطمع عن إدراك كيفية هذا الأمر وعلى المسلم أن لا يخالف السلف الذين قالوا: أمروا هذه الصفات كما جاءت من غير حاجة إلى تأويل أو تمثيل أو تشبيه أو تكييف.

والذي يخوض في ذلك ويمارى إنما هو من أهل البدع الذين خالفوا الأمر الأول.

قال أشهب بن عبدالعزيز: سمعت مالك بن أنس يقول:

إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبدالله وما البدع؟ قال. أهل البدع يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولايسْكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[٢]:

واصفاً طريق وسبيل السلف رحمة الله عليهم.

وَمْن تَدبَّرَ كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدقَّ الناس نظراً وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول ولهذا تأتلف ولا تختلف وتتوافق ولا تتناقض والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة

---

(١) رواه الهروي في ذم الكلام (٨٥٨)، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة (١/ ١٠٣).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٤-٤٨٥).

فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول فتشعبت بهم الطرق وصاروا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٦] اهـ.

قلت: ويجب على المسلم أن لا يعمل عقله ويستخدم رأيه ويعول على فكره في صفات الله تعالى بل يجب الحذر.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: «اعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئاً على أحد، ولا يرفع شيئاً عنه، ولاحظ له في تحليل أو تحريم، ولا تحسين، ولا تقبيح، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيءٌ، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب».

وقال: «أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبعٌ، ولو كان أساس الدين على المعقول، لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال مَنْ شاء ما شاء» اهـ.

قلت:

وكان السلف رحمة الله تعالى عليهم يرجعون إلى الأئمة الذين سبقوهم بالعلم والإيمان ويتبعونهم في مسائل الإيمان.

ولا يخرجون عن أقوالهم إلى أقوال المبتدعة الردية.

فهذا الإمام محمد بن جرير الطبري:

يُرجع القول في «فتنة خلق القرآن» كما قال أهل الزيغ والضلال يُرجع ذلك إلى ما قاله السلف رحمة الله عليهم في المسألة.

قال ابن جرير:

وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر نعلمه عن صحابي مضى ولا عن

تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفا والغناء وفي اتِّباعِهِ الرشد والهدى، ومَنْ يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل.

ثم قال رحمه الله تعالى:

ولا قول عندنا في ذلك يجوز أن نقوله غير قوله إذْ لم يكن لنا إمامٌ نأْتمُّ به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الإمام المتبع.

قلت: ما أنبل هذا القول وما أبدع هذا الكلام.

من هذا الإمام الجهبذ رحمه الله تعالى.

قال الآجري رحمه الله تعالى:

من كان له علم وعقل فَمَيَّزَ جميع ما تقدم ذكرى له من أول الكتاب إلى هذا الموضع، علم أنه محتاج إلى العمل به فإنْ أراد الله به خيراً لزم سنن رسول الله ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ومن تَبعهَم بإحسانٍ من أئمة المسلمين في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلمه لله تعالى ولم يكن مراده أن يتعمله للمراء والجدال والخصومات ولا للدنيا، ومن كان هذا مراده، يسلم إن شاء الله تعالى من الأهواء والبدع والضلالة، واتبع ما كان عليه أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أنْ يوفقه لذلك» اهـ.

قلت:

والعجب كل العجب من امرئ عرف منهج السلف القويم وصراطه المستقيم فتلطَّخ بأهواء مردية وشبهاب مُفضية إلى الضلال والغواية وأصابته الحيْرة والاضطراب فتراه دَهِشاً مشَّوشاً دخل البحر العميق وغاص من أجل إبدال الحق ولج عُتواً في قبيح اكتسابه.

فعاد خاسئاً ذليلًا حاسراً لأنه ارتكب ما نُهي عنه وأعرض عن المنهج الواضح والحنيفية السمحة الطَّلقة والعقيدة النقية الميسرة.

قال شيخ الإسلام وهو يؤكد بأن السعادة والاستقرار باتباع النبيين وأصحاب الفرقة الناجية أهل الفهم الصحيح.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإذا كانت «سعادة الدنيا والآخرة» هي باتباع المرسلين. فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك: هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة.

فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول، مما يجهله غيرهم أو يكذب به.

والرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ: أنزل الله كتابه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فهو الأمين على جميع الكتب وقد بلغ أبين البلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رءوفا رحيماً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبدالله حتى أتاه اليقين فأسعد الخلق وأعظمهم نعيماً وأعلاهم درجة: أعصمهم اتباعاً وموافقة له علماً وعملًا» اهـ.

قلت:

ويجب على المسلم أنْ يُحسن الاتباع لمنهج السلف رحمة الله عليهم- ولا يغتر بكثرة المخالفين والمناوئين الذين أظهروا له الشناءة ونصبوا له

المصائد وأعدوا له المكائد وهذه الأمور لا توهن من عزيمة سالك.

هذا المنهج الحق منهج السلف ولا يضره من خَذَلَه وثبطه لأنه يتبع هذا الهدي المبارك والنور والصراط القويم.

قال خَلَف بن تميم(١):

قال رجل لسفيان الثوري:

ذهب الناس وبقينا على حُمُرٍ دَبَرَةَ.

فقال سفيان:

ما أحسن حالَها إنْ كانت على الطريق.

قلت: والذي يتعين على من سلك طريق السلف أن يدرك أن أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى(٢): كلما كان الإنسان أعظم رغبة في العلم وأقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم وكان ما يحصل له إن سلمه الله من الشيطان أعظم، وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم، ولهذا قال الشعبي: «كل أُمة علماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم.

وأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل وذلك أن كلَّ أمة غير المسلمين فهم ضالون وإنما يُضلُّهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم والمسلمون على هُدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم،

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٥/ ١١٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٧٩).
(٢) انظر: «المتخب من كتب شيخ الإسلام».

وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة، وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من الذنوب، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة، وأولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوساوس التي تضلهم- وهم يظنونها هدى فيطيعوها- مالا يعرض لغيرهم، ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم».

ومن أسباب ضلال المبتدعة بناؤهم دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل لأنهم صاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها: إما في دلالة الألفاظ وإما في المعاني المعقولة ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالًا، ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وذلك ذكر في رسالته إلى أبي عبدالرحمن الجرجاني في الرد على المرجئة، وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول ﷺ إذا وجدوا إلى ذلك سبيلًا ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم أو غير الحق، وهذا مما حرمه الله ورسوله، قال تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ الْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وهذا من تفسير القرآن بالرأي الذي جاء فيه الحديث من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

قلت:

وهذا الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام ضعيف، وأخطأ الأخ[١] الفاضل علوي بن عبدالقادر السقاف حفظه الله حيث عزاه للبخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)، وإنما الذي في البخاري (٣٤٦١) من حديث عبدالله بن عمرو:

«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وقد بين الإمام الرباني شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى أن العالم الذي ينتمي وينتسب بحق إلى السلف الصالح هو صاحب الحق لأنه تمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ: وأصحابه فهو الجماعة وهو الحجة:

قال ابن القيم[٢]:

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذ باليمن، فما فارقته حتى واريته في التراب في الشام، ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد اللّه على الجماعة (اتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار)، ثم سمعته يوماً من الأيام يقول: سيولي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها: فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة، قال: قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة، قال يا عمرو بن ميمون قد

(١) في رسالته «المنتخب من كتب شيخ الإسلام».
(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ١١٨).

كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، قال أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه، فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكر لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ شذ اللّه به في النار. اهـ

قال شيخ الإسلام:

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصْل قصدِهِ توحيدَ الله وعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسول الله ﷺ يدور على ذلك ويتبعه أين وجَدَه ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة رضي الله عنهم فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فإن الهدى يدور مع الرسول ﷺ حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فنص الله عن السابقين الأولين رضا مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان وجعل التابعين لهم بإحسان.

ومن ثمة اعتنى به أما جدُ الأمة ومَهَّدوا تفهيم قواعد للأمة مستمدين من الكتاب العزيز المقتفى وحديث الرسول المصطفى إذْ لا يعتمد على غيرها لرقي الدراية ولا يؤخر من غيرهما لرقي الهداية ولا سبيل إلى النكول لبرهان الأُصول.

فلا ريب في كونه منهاجاً سوياً وصراطاً مستقيماً وقاية في الهداية ونهاية في الدراية. اهـ.

علماء السلف ورثة الأنبياء

قال ابن القيم: وقوله: «العلماء ورثة الأنبياء»، هذا من أعظم المناقب لأهل العلم. فإن الأنبياء خير خلق الله. فورثتهم خير الخلق بعدهم ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء، كانوا أحق الناس بميراثهم، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو ثابت في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء، وفيه أيضاً إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين، وبغضهم منافٍ للدين، كما هو ثابت لموروثهم، وكذلك معاداتهم، ومحاربتهم، محادة ومحاربة لله، كما هو في موروثهم.

قلت: وتأمل درر ابن أبي حاتم الإمام العلم في فضل من اتبع هدي

الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم اللّه تعالى..

قال رحمه الله تعالى:

فخلف من بعد الصحابة التابعون الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه وأحكامه، وسنن رسوله ﷺ وآثاره فحفظوا عن صحابة رسول الله ﷺ ما نشروه وبثوه من الأحكام والسنن.

فأتقنوه وعلموا وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه بحيث وضعهم الله عز وجل ونصبهم له إذْ يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فصاروا برضوان الله عز وجل وجميل ما أثنى عليهم بالمنزلة التي نزلهم الله بها عن أنْ يلحقهم مغمز أو تدركهم وصمة؟ لتيقظهم وتحرزهم وتثبتهم ولأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه وإقامة سننه وسبله فلم يكن لانشغالنا بالتمييز بينهم معنى إذ كنا لا نجل منهم إلا إماماً مبرزاً مقدّماً في الفضل، والعلم ووعي السنن وإثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها، رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين إلا ما كان ممَّن ألْحق نفسه بهم ودلسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو في مثل حالهم لا فقه ولا علم ولا حفظ ولا إتقان» (الجرح والتعديل).

قال ابن حبان:

خير الناس قرناً بعد الصحابة ﷺ من شافه أصحاب رسول الله ﷺ وحفظ عنهم الدين والسنن.

قلت:

ومن بديع القول كلام ابن القيم رحمه الله في الرجوع إلى فتاوى الصحابة

والتابعين وعدم الاستغناء عن فتاويهم لأن الأمر الإلهي والنبوي جاء باتباع هديهم واقتفاء أثرهم لأننا إذا فعلنا ذلك فقد أرجعْنا الأمر إلى أهله واعتمدنا على جذله وصار في مَعْدنِهِ وتقرر في مسكنه وتبوأ ضواحي عطنه.

قال رحمه الله تعالى[١]: فصل في جواز الفتوى بالآثار السلفية والفتاوى الصحابية وأنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم وأنَّ قُربها للصواب بحسب قرب أهلها من عصر الرسول ﷺ وآله وصحبه وأن فتاوى الصحابة أولى أنْ يؤخذ بها من فتاوى التابعين وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعي التابعين وهلم جرا، وكل ما كان العهد بالرسول ﷺ أقرب كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من المسائل كما أن عصر التابعين وإنْ كان أفضل من عصر تابعيهم فإنما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص ولكن المفضَّلون في العصر المتقدم أكثر من المفضَّلين في العصر المتأخر، وهكذا الصواب في أقوالهم وأكثر من الصواب في أقوال من بعدهم» انتهى.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[٢]: مبيناً أن العلم والتفسير إنما يؤخذ عن الصحابة والتابعين قال رحمه الله تعالى:

إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رَجَعَ كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير» انتهى.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم هم أعلم الناس بكتاب الله عز وجل وبتفسيره وبحديث النبي ﷺ كذلك.

---

(١) إعلام الموقعين.
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١).

قال رحمه الله تعالى[1]: وفي الجملة من عَدَلَ عن مذهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً وإنْ كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً» انتهى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة **وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور** عن الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله تعالى وتابعيهم رحمهم الله تعالى في معاني القران والحديث وفيما وَرَدَ عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق وغير ذلك» اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن علم السلف وهم التابعون[2]:

«أما إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه حجة» اهـ.

قلت:

علماء السلف رحمهم الله تعالى هم الذين فهموا مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ففهم غيرهم أولى بالقدح والرد والتزييف إذا خالف كلامهم الحق وهم الذين نافحوا عن هذا المنهج وقد أحكموا قواعده وشَّيدوا معاقده.

ولم يأل العالم السلفي جهداً في تقريره وبيانه وإيضاحه والمنقبة له واضحة كالشمس في الانتماء الى الذين مضوا فهو متبعهم بإحسان والفضيلة له بيِّنة في المناداة والمناصحة في الرجوع إلى فهم السلف.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٠).

(٢) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٥٠١- ٥١٠).

والمزية له خاصة في نقده وكشفه للمناهج والآراء المخالفة لمنهج السلف وكشف عوارها وتوضيح تهافتها وتناقضها وتزييفها وبعدها عن الحق.

قال الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى(١):

كان الصحابة أعلم الأمة على الإطلاق وبينهم وبين من بعدهم في العلم واليقين كما بينهم في الفضل والدين ولهذا **كان ما فهمه الصحابة من القرآن: أولى أن يُصار إليه مما فهمه من بعدهم فانضاف حُسْنُ قصدهم إلى حسن فهمهم** فلم يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر ولا يُحفظ عنهم في ذلك خلافٌ، لا مشهورٌ ولا شاذٌ فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه وساء قصده، وقَعَوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد وقد يجتمعان وقد ينفردان وإذا اجتمعا تولَّد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرَّم الله منهم.

وقال رحمه الله تعالى:

إن الصحابة كانوا أعلم الناس بأصول الدين فإنهم تلقوها عن أعلم الخلق على الإطلاق وكانوا إذا استشكلوا شيئاً سألوه عنه وكان يُجيبهم بما يُزيل الإشكال ويُبيِّن الصواب فَهم العارفون بأُصول الدين حقاً لا أهل البدع المتكلمين ومَنْ سلك سبيلهم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ، عن صحابة النبي ﷺ: كانوا يُوردون على رسول الله ﷺ ما يُشكل عليهم مِن الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يُثلج صدورهم».

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(٢):

---

(١) «زاد المعاد في هدى خير العباد» (٣/ ٦٨٠).
(٢) «النبوات» (ص٤٧).

وهو يتحدث عن منزلة صحابة النبي ﷺ وعن سلامة المنهج الذي كانوا عليه.

قال رحمه الله تعالى: «فهم صفوة الأمة وخيارها المتبعون للرسول ﷺ علماً وعملًا يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التي بعث الله بها رسوله ﷺ وتدبر القرآن وما فيه من البيان» اهـ.

قال العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى[١]:

«الواجب على المكلفين في كل زمان ومكان: الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله ﷺ، ولا لأحد أن يعدل عن ذلك إلى غيره.

ومن عجز عن ذلك في شيء من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول.

فإن لم يدر شيئاً من ذلك، وصح عنده عن أحد من الأئمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق في الأمة فتقليدهم سائغ- حينئذ-.

فإن كان المكلف أنزل قدراً وأقل علماً وأنقص فهماً من أن يعرف شيئاً من ذلك فليتق الله ما استطاع. وليقلد الأعلم من أهل زمانه أو من قبلهم، خصوصاً من عرف بمتابعة السنة، وسلامة العقيدة، والبراءة من أهل البدع، فهؤلاء أحرى الناس وأقربهم إلى الصواب، وأن يلهموا الحكمة، وتنطق بها ألسنتهم» اهـ.

وقال الأصبهاني:

وينبغي للمرء أن يحذر محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة والسنة إنما

---

(١) «الدرر السنية» (٤/ ١٠٥).

هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ وترك معارضتها بـ (كيف ولم) والكلام والخصومات في الدين والجدال مُحدث، وهو يوقع الشك في القلوب ويمنع من معرفة الحق والصواب، وليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو الاتباع والاستعمال يقتدي بالصحابة والتابعين وإنْ كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإنْ كان كثير العلم» اهـ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلام طويل في ذم أهل الباطل وأهل الكلام وهو كلام قوي رصين في الثناء على فهم الصحابة رضي الله عنهم .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولو سلكوا سبيل القصد ووقفوا عندما انتهى لوجدوا برد التُّقى وروح القلوب، ولكثرت البركة وتضاعف النماء وانشرحت الصدور ولاضاءت فيها مصابيح النور، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم.

واعلم أدام الله توفيقَك أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجْزاً عنه ولا انقطاعاً دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة. وقد كان وقع زمانهم هذه الشبه والآراء، وهذه النِّحل والأهواء وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تحقَّقوا من فِتنها وحَذِروا مِنْ سوء مغبتها. وقد كانوا على سُنة من أمرهم وعلى بصيرة مِن دينهم لِما هداهم الله من توفيقه وشَرَحَ به صُدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنة وبيانها غناء مندوحة عما سواها وأن الحجة قد وقعت بهما والعلة أُزِيْحت بمكانها اهـ.

وما أجمل ما قاله الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه المعطار «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

أما بعد:

فإن أوجب ما على المرء معرفةُ اعتقاد الدين، وما كلف الله عباده مِنْ فهمِ توحيده وصفاته وتصديق لرسله بالدلائل واليقين والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ثم التمسك بمجموعها، والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون، فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة والآثار المحفوظة المنقولة وطرائق الحق المسلوكة والدلائل اللائحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون، ومَنْ بعدهم من خاصة الناس، وعامتهم من المسلمين واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين، ثم اقتدى بهم من الأئمة المهتدين، واقتفى آثارهم من المتبعين، واجْتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنون، فمن أخذ في مثل هذه المحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أحس في دينه التبعة في العاجلة والآجلة وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واتقى الجُنَّة التي يُتَّقى بمثلها فيتحصن بجملتها ويستعْجل بركتها ويحمد عاقبتها في المعاد والمثال»اهـ.

قلت:

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى آيات الاتباع للكتاب والسنة وحديث العرباض بن سارية، قال العرباض[١]:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خط لنار رسول الله ﷺ» اهـ[٢].

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه[١]: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم». . فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع وذم التكلف والاختراع. فمن اقتص هذه الآثار كان من المتبعين وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقَّهم بهذا الرسم.

أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتِّباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له وتحملِّهم علمه وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا عنه الإسلام مباشرةً وشرائعَه مشاهدةً وأحكامَه معاينةً من غير واسطة، ولا سفير بينهم وبينه واصلةً فحاولوها عياناً، وحفظوا عنه شفاهاً. وَتَلَقَّفُوه مِنْ فِيْهِ رَطِباً، وَتَلَقَّنوهُ مِنْ لسانه عَذِباً واعتقدوا جميع ذلك حقاً، وأخلصوا بذلك مِن قلوبهم يقيناً فهذا دين أُخِذَ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة لَم يُشبْهُ لَبْسٌ ولا شُبَهةٌ. ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحايل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة والضافة عن الضافة والجماعة عن الجماعة، أخذُ كفٍ بكفٍ وتمسك خلف بسلف، كالحروف يتلو بعضها بعضاً، ويتسنى أخراها على أولاها رصفاً ونظماً.

فهؤلاء الذين تمهدت بنقلهم الشريعة، وانخفضت بهم أصول السنة، فوجبت بذلك لهم المنة على جميع الأُمة والدعوة لهم من الله بالمعونة، فهم حَملةُ علمه، ونقلةُ دينه وسَفَرتِه بينه وبين أُمته، وأُمناؤه في تبليغ الوحي عنه فحرِيٌّ أن يكونوا أولى الناس به في حياته ووفاته. وكل طائفة من الأُمم مرجُعها إليهم في صحة حديثه وسقيمه، ومعولها عليهم فيما يختلفون في أمره، ثم كل من اعتقد مذهباً فإلى صاحب مقالته التي أخذ بها ينتسب وإلى رأيه يَسْتند إلا أصحاب الحديث، فإن مقالتهم رسول الله ﷺ فهم إليه يَنْتسبون ومنه يستندون، وبه يستدلون، وإليه يفزعون وبرأيه يقتدون، وبذلك

(١) تقدم تخريجه.

يفتخرون، وعلى أعداء سنته بقُرْبهم منه يصولون، فمن يُواز بهم في شَرَف الذكر أو يباهيهم في ساحة الفخر، وعلو الاسم إذِ اسْمُهُمُ مأخوذ من معاني الكتاب والسنة ليشمَل عليها لتحققهم بها أو لاختصاصهم بأحدها، فهم مترددون في انتسابهم إلى الحديث بين ما ذكر الله سبحانه في كتابه فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو القرآن فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته وبين أنْ ينْتموا إلى رسول الله ﷺ فهم نقلته وحملة فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المغْنيين فيهم لمشاهدتنا أن اقتباس الناس الكتاب والسنة فيهم واعتماد البرية في تصحيحها عليهم لأنا ما سمعنا عن القرون التي قبلنا ولا رأينا نحن في زماننا مبتدعاً رأس في إقراء القرآن، وأخذ الناس عنه في زمن منَ الأزمان ولا ارتفعت لأحد منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلا من الأيام ولا اقتدى بهم أحد في دين الله، ولا شريعة من شرائع الإسلام فالحمد لله الذي كَمُلَ لهذه الطائفة سهام الإسلام وشرَّفهم بجوامع هذه الأقسام وميَّزهم من جميع الأنام حيث أعزَّهم الله بدينه، ورفعهم بكتابه وعلَّا ذكرهم بسنته، وهداهم الى طريقته وطريقة رسوله، فهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية والعصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة التي لا تُريد برسول الله ﷺ بديلًا ولا عن قوله تبديلًا ولا عن سنته تحويلًا لا يَثْنِيهم عنها تقلُّب الأعصار والزمان، ولا يَلْويهم عن سُننها ابتداعُ من كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله ويبغيها عِوَجاً، ويَصدف عن طرُقها جدلًا ولجاجاً ظَنًّا مِنْهُ كاذباً وتخْميناً باطلًا، إنه يطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون واغتاظ به الجاحدون فإنهم السواد الأعظم والجمهور الأضخم، فيهم العلم والحكم، والعقل والحلم، والخلافة والسيادة والملك والسياسة وهم أصحاب الجُمعُات والمشاهد والجماعات

والمساجد والمناسك والأعياد، والحج، والجهاد وباذلوا المعروف للصاد والوارد، وعماد الثغور والقناطر الذين جاهدوا في الله حق جهاده، واتبعوا رسوله على منهاجه، الذين أذكارهم في الزهد مشهورة، وأنفاسهم على الأوقات محفوظة وآثارهم على الزمان متبوعة ومواعظهم للخلق زاجرة.

ثم إنه لم يَزَلْ في كل عصر من الأعصار إمام مَنْ سَلَف أو عالم مِن خَلَف قائماً لله بِحَقِّهِ وناصحاً لدينه فيما يصرف همته إلى جميع اعتقاد أهل الحديث على سنن كتاب الله ورسوله ﷺ آثار صحابته ﷺ ويجتهد في تصنيفه، يُتعب نفسه في تهذيبه رغبة منه في إحياء سُنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسكين بهما من أهل ملته» اهـ.

قلت:

وهكذا نجد حرص السلف ونجد شدة تمسكهم بما كان عليه أهل القرون الممدوحة المحمودة الثلاثة ولعلمهم بأن المخالفة لهم توجب الزيغ والضلال واتباع سبيل أهل البدع فان النجاة هو الاعتصام بالكتاب والسنة قال الحسن البصري في كلام له رائع:

والسنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إتْرافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وَصبروا على سُنتهم حتى لَقَوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا».

ويُبيِّنُ ابن القيم رحمه اللّه تعالى في بيان رائع وهو من إشراقة الكلم الماتع أن الحق والفهم هو الذي كان عليه الرسول ﷺ وصحابته؛ لأنهم هم لهم العناية الفائقة وقاموا به أتم قيام واضطلعوا به ونَهَضوا بأعبائه وأظهروا وفاء وغَنَاءً، وكفاية واضطلاعاً وصرامة وقوة ومعرفةً وتقدُّماً.

من يعرف الشمس لا يُنكرْ مطالعها أو يُبصِرِ الخيل لا يسْتكرم الرَّمَكا[١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

والذي يزيد ما قلناه إيضاحاً أن النبي ﷺ حين سئل عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

فلابدَ أنْ تعرف ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه وليس طريق معرفته إلا النقل فيجب الرجوع إلى ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «لا تنازعوا الأمر أهله» رواه البخاري من حديث عبادة بن الصامت.

فكما يُرجع في معرفة مذاهب الفقهاء الذين صاروا قدوة في هذه الأمة إلى أهل الفقه، ويُرجع في معرفة (اللغة إلى أهل اللغة) وفي معرفة النحو إلى أهل النحو، فكذلك يُرجَع في معرفة ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه إلى أهل النقل والرواية لأنهم عُنُوا بهذا الشأن واشتغلوا بحفظه والفحص عنه ونقله ولولاهم لاندرس علم النبي ﷺ ولم يقف أحد على سنته وطريقته.

ثم قال الإمام أبو المظفر[٣]:

فإن قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم، قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في غمار الرواة من وُسِمَ بالغلط في الأحاديث فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث ورُتوت[٤] العلماء حتى إنهم عَدَّوا أغاليط من غلط في

---

(١) المتنبي (٣/ ١١٣).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٦) اختصار العلامة محمد بن الموصلي (ت٧٧٤).

(٣) الصواعق (٤/ ١٥٦٧).

(٤) الرتوت بالضم جمع رت وهو الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء.

الأسانيد والمتون، بل تراهم يَعُدون على كل واحدٍ منهم كم في حديثٍ غلط وفي كل حرفٍ وماذا صحف فإذا لم يروج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد المتون والحروف فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث وهو الذي يقول بعض الناس: إن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع أُلوفاً من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها وهو قول بعض الملاحدة وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب يريد أنْ يهجن بهذه الدعوى الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة فيُغالط جهال الناس بهذه الدعوى، وما احْتج مبتدعُ في ردِّ آثار رسول اللَّه ﷺ بحجة أوهن منها ولا أشد استحالة، فصاحِبُ هذه الدعوى يستحق أنْ يُسَفَّ في فيه التراب ويُنفى من بلد الإسلام.

فتَدبّر رحمك اللَّه أن يجعل حكم من أفنى عمره في طلب آثار النبي ﷺ شرقاً وغرباً براً وبحراً وارتحل في الحديث الواحد فراسخ واتهم أباه وأدناه في خبر يرويه عن النبي ﷺ إذا كان موضع التهمة ولم يحابه في مقالٍ ولا خطاب غضباً للَّه وحميةً لدينه، ثم ألف الكتب في معرفة المحدثين وأسمائهم وأنسابهم وقدر أعمارهم، وذكر أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم، وفصل بين الردئ والجيد، والصحيح والسقيم حُباً للَّه ورسوله وغيرةً على الإسلام ثم استعمل آثاره كلها حتى فيما عدا العبادات من أكله وطعامه وشرابه ونومه ويقظته وقيامه وقعوده ودخوله وخروجه وجميع سنته وسيرته حتى في خطواته ولحظاته، ثم دعا الناس إلى ذلك وحثهم عليه ونَدَبَهم إلى استعماله وحبب إليهم ذلك بكل ما يملكه حتى في بذل ماله ونفسه كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وإراداتِهِ وخواطره وهواجسه ثم تراه يرد ما هو أوضح من الصبح من سنن النبي ﷺ وأشهر من الشمس برأي دخيلٍ واستحسانٍ ذميم وظن فاسد ونظرٍ مشوب بالهوى.

فانظر وفقك اللّه للحق أي الفريقين أحق أنْ يُنسب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر؟ فإذا قضيت بين هذين بوافِر لُبِّكَ وصحيح نظرك وثاقب فهمك فليكن شكرك لله تعالى على حسب ما أراك من الحق وَوَفَّقك للصواب وألهمك من السداد. اهـ

قال الحافظ ابن القيم رحمه اللّه تعالى:

ومن المعلوم أن من هذا عنايته بسنة رسول اللّه ﷺ وسيرته وهديه، فإنها تفيد عنده من العلم الضروري والنظري مالا تفيده عند المعرض عنها المشتغل بغيرها، وهذا شأن من عُني بسيرة رجل وهديه وكلامه وأحواله فإنه يعلم من ذلك بالضرورة ما هو مجهول لغيره» اهـ.

وما أحسن كلام ابن القيم رحمه اللّه تعالى وهو يُبين أن أولى الناس وأحرص الخلق على فهم كلام اللّه تعالى وكلام رسوله ﷺ هم أصحاب النبي ﷺ.

قال رحمه اللّه تعالى[١]:

إن الرجل لو قرأ بعض مصنفات الناس في النحو أو الطب أو غيرهما أو قصيدة من الشعر كان من أحرص الناس **على فهم** ذلك، وكان من أثقل الأمور عليه قراءة كلام لا يفهمه، فإذا كان السابقون يعلمون أن هذا كتاب اللّه وكلامه الذي أنزله إليهم، وهداهم به وأمرهم باتباعه فكيف لا يكونون أحرص الناس **على فهمه** ومعرفة معناه من جهة العادة العامة والعادة الخاصة ولم يكن للصحابة كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيِّهم ﷺ ولم يكونوا إذا جلسوا يتذاكرون إلا في ذلك.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٤/ ١٤١٩).

قال البخاري:

«كان الصحابة ﷺ إذا جلسوا يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ولم يكن بينهم رأي ولا قياس».

ولم يكن الأمر بينهم كما هو في المتأخرين: قوم يقرؤون القرآن ولا يفهمونه، وآخرون يتفهمون في كلام غيرهم ويدرسونه وآخرون يشتغلون في علوم أُخر وصنعة اصطلاحية، بل كان القرآن عندهم هو العلم الذي يعْتنون به حفظاً وفهماً وعملاً وتَفَقُّهاً، وكانوا أحرص الناس على ذلك ورسول اللَّه ﷺ بين أظهرهم وهو يعلم تأويله ويبلغهم إياه كما يبلغهم لفظه.

فمن الممتنع أن يكونوا يرجعون إلى غيره في ذلك، ومن الممتنع أن لا تتحرك نفوسهم لمعرفته.

ومن الممتنع أنْ لا يُعلمهم إياه وهم أحرص الناس على كل سبب يُنال به العلم والهدى، وهو أحرص الناس على تعليمهم وهدايتهم.

ثم قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى بعد كلام طويل[1]:

الوجه الرابع:

أنهم كانوا يسألونه عما يشكل عليهم من الصفات فيجيبهم بتقريرها لا بالمجاز والتأويل الباطل.

الوجه الخامس:

أن الصحابة ﷺ قد سمعوا من رسول اللَّه ﷺ من الأحاديث الكثيرة ورأوا منه من الأحوال الشاهدة وعلموا بقلوبهم من مقاصده ودعوته ما **يوجب لهم فهم ما أراد** بكلامه ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه فليس

(١) الصواعق (٤/ ١٤٣٠).

من سمع وعلم ورأى حال المتكلم كمن كان غائباً لم يرو ولم يسمع أو سمع وعلم بواسطة أو وسائط كثيرة.

وإذا كان للصحابة ﭫ من ذلك ما ليس لمن بعدهم كان الرجوع إليهم في ذلك دون غيرهم مُتعيناً قطعاً. ولهذا قال الإمام أحمد[١] ﵀:

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه كما شهد لهم رسول اللَّه ﷺ بذلك في قوله: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٢].

فثبت بهذه الوجوه القاطعة عند أهل البصائر وإنْ كانت دون الظنية عند عمي القلوب أن الرجوع في تفسير القرآن الذي هو تأويله الصحيح المبين لمراد اللَّه هو الطريق المستقيم، ولهذا نصَّ الإمام أحمد على أنه يُرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن إذا لم يُخالفه غيره منهم» اهـ.

قلت:

وما أجمل أبيات العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير وهو أخ للعلامة البارع محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني صاحب السفر العظيم النافع: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم:

وإليك هذه القصيدة الرائعة في الثناء على أصحاب النبي ﷺ جاء فيها:

عَلَيْكَ بِمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ، وَدَعْ مَا شِئْتَ مِنْ قَولِ قَائِلِ

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد ﵀ كما في رواية عبدوس بن مالك العطار (ص٢٥) وانظر الشرح الرائع للشيخ وليد سيف النصر حفظه اللَّه تعالى.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث الجليل.

هُوَ المَسْلَكُ المَرْضِي والمَذْهَبُ الَّذي ... عَلَيْهِ مَضَى خَيْرُ القُرُونِ الأوائلِ
فدِنْ بالَّذِي دانَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ ... مِن الدِّينِ، واتْرُكْ غَيْرَهُمْ فِي بلابِلِ
هُمُ الشَّامَةُ الغَرَّا وهُمْ سَادَةُ الوَرَى ... وَهُمْ بَهْجَةُ الدُّنيا ونُورُ القَبَائِلِ
وأَرْفَعُ مَا تدلي بِهِ مِنْ فَضائِلٍ ... على الخَلْقِ أَدْنَىٰ مَا لَهُمْ مِنْ فَوَاضِلِ
إذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُكْ مَسالِكَ رُشْدِهِمْ ... وَتُمْسِكُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بِالوَصَائِلِ
فَقَدْ فَاتَك الحَظُّ السَّنِيُّ وَلَمْ تَكُنْ ... إلى الحَقِّ فِي نَهْجِ السَّبِيلِ بِوَاصِلِ
هُمُ قَادَةُ القَادَاتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ... إلى مَشْرَعِ الحَقِّ الرَّوِي السَّلَاسِلِ
إلى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ وَالمِلَّةِ التي ... عَلَيْهَا مَثَارُ النَّقْعِ مِنْ كُلِّ صَائِلِ
وَلَكِنَّهَا عَزَّتْ بِدَعْوَةِ أَحْمَدِ ... وَقَامَتْ بِبُرْهَانٍ مِن الحَقِّ فَاضِلِ
مؤيّدة فِي حَرْبِهَا بِمَلَائِكٍ ... مُشَيَّدَةٍ فِي أَمْرِهَا بِعَواسِلِ
عِصَابَة جِبْرِيل الأمينِ جُنُودُها ... تَحُفُّ بِهَا في خَيْلِهَا في قَنَابِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الجَيْشِ إلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ
وَلَمْ يَعْجِزِ الصِّدِّيقُ بَعَدَ وَفَاتِهِ ... عَنِ الحَرْبِ بَلْ شَادَ الهُدَى بِجَحَافِلِ (١)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١/ ٩٩).

الفهرس

المقدمة ٥
الدليل الأقوم على أن فهم السلف هو الأعلم والأحكم فضل أصحاب النبي ﷺ ١٢
فضائل الصحابة رضي الله عنهم ١٢
لماذا فهم السلف؟ ١٤
قول شيخ الإسلام في فضل أتباع الرسول ﷺ ٢٣
قول ابن القيم في ورثة الأنبياء ٢٣
قول الحافظ ابن رجب في ذلك ٢٤
قول الإمام أحمد في الأخذ بفهم الصحابة رضي الله عنهم ٢٥
قول الإمام الشافعي في الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ٢٦
نقول عن شيخ الإسلام في ذلك ٢٧
كلام ابن عبد البر في ذلك ٣١
ابن القيم يمدح الصحابة رضي الله عنهم في النونية ٣٣
الحافظ ابن الصلاح يذم الفلسفة ٣٥
كلام الحافظ أبي إسحاق الشاطبي في التفقه على طريقة السلف .. ٣٥
كلام شيخ الإسلام وابن القيم في ذلك ٣٧
قول الخطابي في ذلك ٣٨
كلام أبي المظفر السمعاني وابن رجب في التمسك بآثار السلف .. ٣٩
حرص الإمام مالك في الرجوع إلى أهل العلم ٤٠
أصول السنة عند الإمام أحمد ٤٣

نقل رائع للحافظ ابن أبي حاتم في تعظيم الصحابة ٤٤
قول ابن القيم والحسن البصري ٤٥
الحافظ ابن الوزير ينقل كلاماً سلفياً رائعاً لأبي حامد الغزالي ٤٦
اضطرب وحيرة علماء الكلام ٤٧
العلامة الأصولي محمد الأمين الشنقيطي يستحسن كلام الغزالي وينْقل في أضواء البيان ٥٠
كلام شيخ الإسلام في فهم السلف ٥٢
كلام قوي لابن القيم في أفضل مراتب الخلق بعد النبيين ٥٣
كلام شريك بن عبد اللّه في أن علم السلف مأخوذ عن النبي ﷺ عن اللّه عز وجل ٥٤
كلام شيخ الإسلام في أن الصحاب رضي الله عنهم فهموا من النبي ﷺ مقاصده ٥٥
اللّه عز وجل طهر ونزه الصحابة رضي الله عنهم في أن الشيطان لم يطمع أنْ يضلهم ٥٦
قول الشاطبي في فضل الصحابة رضي الله عنهم ٦١
وجوب الرجوع إلى فهم الصحابة في التفسير ونقل عن شيخ الإسلام ٦٣
قول الأوزاعي في سلوك سبيل السلف ٦٥
كلام الشهرستاني في تمسك السلف بمنهاج المتقدمين ٦٧
أبيات شعر جميلة في رجوع الأئمة الأربعة إلى نص الحديث ٦٩
كلام العلامة ابن أبي جمرة في مدح الصحابة رضي الله عنهم ٧٠
كلام الشافعي في فضل الصحابة رضي الله عنهم ٧٢
كلام جميل لعمر رضي الله عنه وشرح شيخ الإسلام له ٧٣

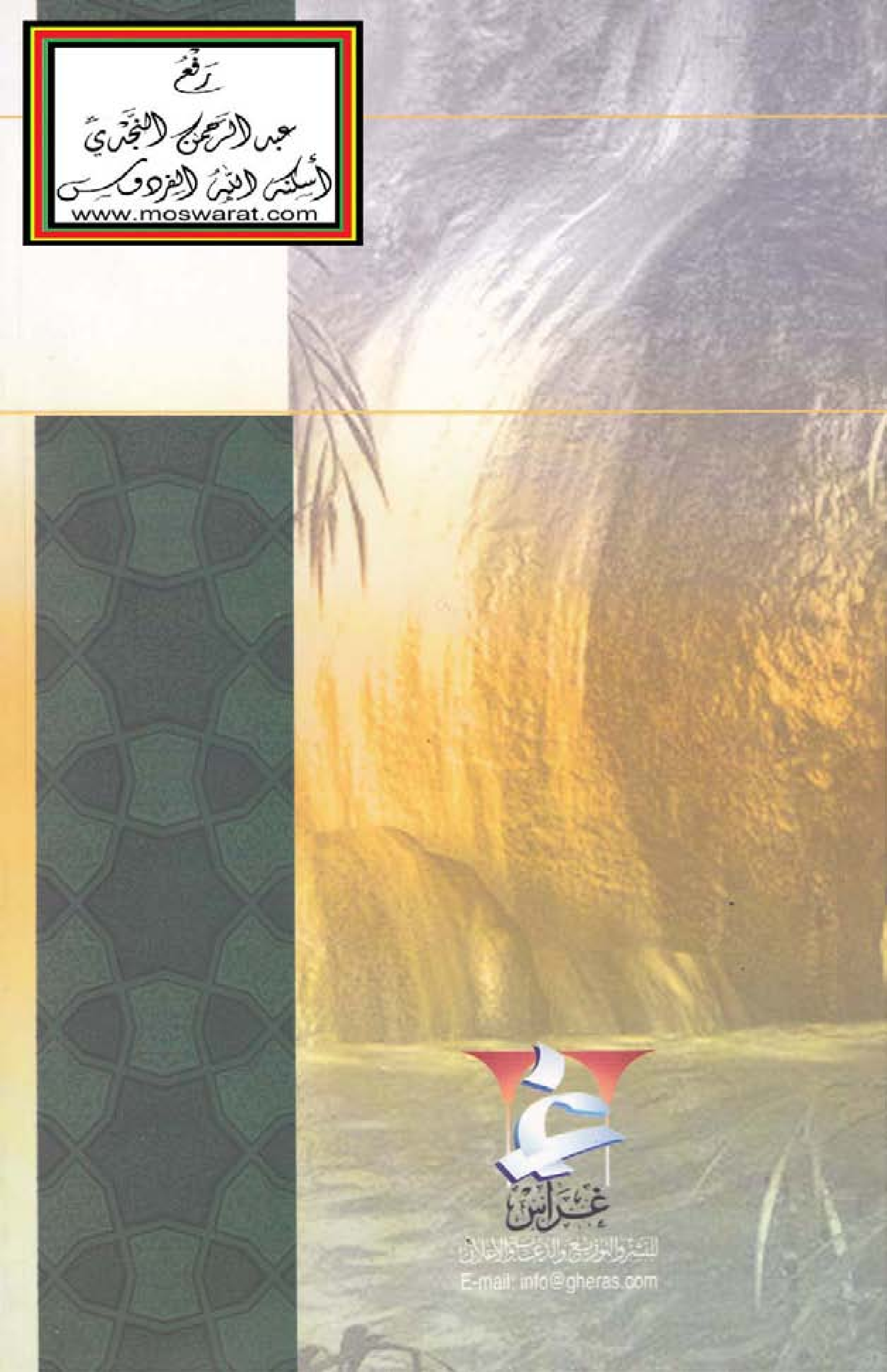
كلام شيخ الإسلام في الاقتداء بالصحابة ﷺ ٧٤
كلام محقق رائع لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أن الصحابي له مدارك ٧٧
كلام أبي المظفر السمعاني في فضل السلف ٨٠
إفحام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الخوارج واحتجاجه عليهم بفهم الصحابة ﷺ ٨١
كلام العلامة المقريزي في فضل فهم السلف ٨٢
كلام ابن القيم في عظم وقدر فهم الصحابة ﷺ ٨٦
كلام الحافظ الصابوني في ذم أهل البدع ٩١
درر من الخطيب البغدادي في طهارة الصحابة ﷺ وفضل فهمهم ٩٢
أصل وقوع الضلال الإعراض عن فهم الصحابة ﷺ والتابعين «نقل
عن شيخ الإسلام ٩٣
شرح رائع لأبي جعفر الطحاوي لحديث ضرب للَّه مثلًا ٩٧
كلام جزل وقوي لشيخ الإسلام في فضل السلف وفيه تأصيل لهذا
المذهب العظيم ٩٨
نقل رائع وبديع للحافظ ابن حجر في الانتصار لمذهب السلف .. ١٠٦
كلام للحافظ أبي إسحاق الشاطبي في فضل الصحابة ﷺ ... ١٠٨
حادثة رائعة في الاعتصام بفهم السلف في أيام الواثق ١١٢
كلام ابن القيم في الاحتجاج بفتاوى الصحابة ﷺ ١١٨
لا يجوز إحداث تأويل آية أو سنة لم تكن على عهد السلف ١٢٣
كلام رصين للشاطبي في الاحتجاج بفهم الصحابة ﷺ ١٢٤
حادثة جميلة بين الحافظ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي مع مبتدع .. ١٢٥
كلام لشيخ الإسلام في مدح فهم الصحابة ﷺ ١٢٦
وكلام الآجرِّي في ذلك ١٢٨

وكلام ابن القيم في ذلك ١٣٢
علماء السلف ورثة الأنبياء ١٣٤
قول ابن القيم: جواز الفتوى بالفتاوي الصحابية وبالآثار السلفية ١٣٦
كلام جميل للعلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن
محمد بن عبد الوهاب ١٣٩
كلام الحافظ اللالكائي في فضل السلف الصالح ١٤١
نقل رائع للحافظ أبي المظفر في فضل علماء السلف ١٤٥
وكلام لابن القيم في ذلك ١٤٧
قصيدة رائعة في مدح الصحابة ﷺ ١٤٩
الفهرس ١٥١

تم الكتاب بحمد الله

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان
E-mail: info@gheras.com